

مختارات من شعر العقاد

العقاد

مختارات من شعر

العقاد

اختيار وتقديم

فاروق شوشة

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فـاروق شـوشـة

شعر العقاد

حوار الصخر والنهر

بقلم : فاروق شوشة

بيننا ـ نحن قراء الشعر المعاصرين ـ وشعر العقاد مسافة واسعة. زاد من اتساع هذه المسافة العقادُ نفسه، بحرصه علي أن يكون وجهُ الكاتب فيه هو أهم وجوهه وأخطر تجلياته الإبداعية. كانت فكرة الكاتب، وتأثيره اليومي الفاعل في صياغة الأحداث وصنع التاريخ هي الشغل الشاغل للعقاد. وللبرهنة علي عظم هذه الفكرة وخطورتها دخل العقاد السجن، وواجه الأنظمة والحكومات، وتحمل صنوفا من العداء والقطيعة، لكنه ظل علي ولائه لمعني الكاتب الذي تتمثل فيه دوما معادلة الإرادة الانسانية والحرية. وطغي وجه العقاد الكاتب من خلال كتبه في السير والتراجم والعبقريات والتاريخ والفلسفة والعلوم والنقد الأدبي علي وجه الشاعر فيه، بالرغم من أن حجم إنجازه الشعري ـ المتمثل في أحد عشر ديوانا ـ يفوق حجم الإنجاز الشعري لأي شاعر عربي كبير من شعراء العصر الحديث، من غير أن ندخل في مقارنة تستهدف النوعية وحجم التأثير.

وزاد من اتساع هذه المسافة أن شعر العقاد وصل إلينا - نحن قراءه المعاصرين - في خضم موجات شعرية متتابعة، شديدة التلاحق والتأثير والقدرة علي تغيير الذائقة الشعرية بدءا بالكلاسيكية الجديدة التي أسس لها البارودي ونفخ فيها شوقي من روح شاعريته الفذة ووسع من آفاقها وقدراتها علي التحديث، بحيث أصبح نموذج شوقي هو النموذج الذي يستقطب جوهر شاعرية البارودي وإسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وأضرابهم، وأصفي ما لديهم من خبرة شعرية وقدرة علي احتواء العصر شعريا.

في ظل سيطرة هذا النموذج الشوقي، لم يتح للذائقة الشعرية أن تتسع لشعر العقاد، أو أن تضعه في سياقه الصحيح من حركة التحديث الشعري. فقبل أن يتخلخل نموذج شوقي، كان شعر المهجريين المنهمر من الأمريكتين وممن تابعوهم من شعراء المشرق والمغرب العربيين، ثم كان شعر شعراء أبوللو ومغامراتهم الإبداعية من أجل تجلية النموذج الرومانسي للقصيدة العربية، وبعده نموذج قصيدة الشعر الجديد والعاصفة التي أثارها علي الحركة الشعرية العربية من حيث الحساسية والموقف والرؤية الشعرية، كان كل ذلك يباعد بين قراء الشعر وشعر العقاد، وكانت المسافة تتزايد باستمرار كلما أشرق فجر شعري جديد.

وزاد من اتساع هذه المسافة أخيرا، وربما أولا، أن شعر العقاد نفسه لم يكن كغيره من شعر معاصريه أو متابعيه، كان نموذجا يتحدي لدي متلقيه قدراته كاملة، وفي مقدمتها عقله ووعيه وفكره، وقدرته علي

التأمل والتجريد، ولم يكن هذا النموذج مسرفا في العاطفية كشعر الرومانسيين، ولا مسرفا في الجلبة والجهارة والعناية بالفخامة كنموذج شوقي وأضرابه، وليس هو شعر الحواس الظاهرة والقشرة الخارجية بقدر ما هو شعر المشاعر والعواطف العميقة، كان شعر اليقظة والوعي لا شعر الغيبوبة والحلم. وكان العقاد في هذا الشعر - كما وصفه مريده وتلميذه سيد قطب في كتاباته النقدية المبكرة عنه - شاعرا يعيش في وضح النهار. والوضوح الساطع صفة يمكن أن يباهي بها الكاتب، لكنها ليست مما يسعد به الشاعر الحقيقي.

يقول سيد قطب عن العقاد الشاعر في أحد فصول كتابه «كتب وشخصيات» وهو يتناول بالنقد والتحليل ديوان العقاد : «أعاصير مغرب» :

«في وضح النهار يعيش العقاد ، صاحي الحس، واعي الذهن، حيّ الطبع، لا يهوّم إلا نادرا ، ولا يتوه فيما وراء الوعي أبدا .

ومعالم الإحساس والتصور عند العقاد واضحة، وعلي رحابتها وانفساحها وعلي عمقها ودقتها يحدها إطار من الوعي المتيقظ، فلا تهيم في وديان مسحورة، ولا تنطلق في متاهات مجهولة.

علي أن للمجهول حسابه في نفس العقاد. ولكن هذا المجهول نفسه فكرة يحيط بها الوعي، ويدعو إلي فرضها العقل، وليس الإيمان بهذا المجهول توهانا روحيا ولا صوفية غامضة، إنما هو رحابة نفسية وفكرية.

ومن هذه الينابيع يتفجر شعر العقاد. فيكثر فيه تصوير الحالات النفسية وتسجيل الخواطر الفكرية، وإثبات التأملات المنطقية ـ إذا صح هذا التعبير ـ بقدر ما تقل فيه السبحات الهائمة والانطلاقات التائهة والظلال الشائعة، فكل شيء واضح وكل شيء له حدود ».

ثم يقول سيد قطب : «ويعوض شعر العقاد الجيد عن الرفرفة الطليقة تلك الحيوية المتدفقة، وعن الإيقاع المتموج تلك الحبكة الرصينة، وعن الانطلاق الهائم ذلك العمق الدقيق، وعن سبحات الصوفية التائهة صدق الحالات النفسية الواضحة.

ويبلغ العقاد قمته حين تبلغ الحيوية تدفقها فتجرف المنطق الواعي وتغطي عليه. فأما حين يضعف هذا التدفق، فيتجرد الشعر من اللحم والدم ويخيل إليك أن مكانه ليس هنا في الديوان، ولكنه هناك في كتبه بين التأملات الفكرية والقضايا المنطقية».

بل إن العقاد نفسه في تقديمه لديوانه «بعد الأعاصير» يهاجم قول القائلين : إن الشعر وجدان، وقد كان عبد الرحمن شكري ـ زميله في جماعة الديوان ـ هو الذي وضع هذا البيت علي غلاف الجزء الأول من ديوانه :

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدانُ

ومدخله لهذا الهجوم أن القائلين به يرون أن الشاعر لا يتأمل ولا يفكر، وإلا قيل في شعره إنه كلام لا يوحيه الوجدان. لكنه يلقي بسؤاله المباغت : أيّ وجدان؟ ويقول : إنهم لا يسألون هذا السؤال وهو ألزم

سؤال، فالإنسان الهمجي له ـ في رأيه ـ وجدان وله شعور. ولكنه وجدان كوجدان الحيوان، وشعوره لا يرتقي إلي طبقة التعبير الجميل أو غير الجميل.

والإنسان الصوفي له وجدان وشعور، ولكنه إذا عبر عن وجدانه وشعوره دق تعبيره علي عقول الكثيرين أو الأكثرين. وهو يفرق في تحديد قاطع بين الإحساس والترقق، وينبه إلي سخافة شائعة في مصر والشرق بين أدعياء الإحساس ـ ممن لا يحسون ولا يفكرون ـ وهي اعتقادهم بأن الإحساس والترقق مترادفان، ويوشك أن يموت الإنسان عندهم من فرط الإحساس، لأنه يحس في زعمهم بمقدار ما يتراخي ويتخاذل ويئن وينوح.

ويخلص العقاد من كل هذا الجدل التحديدات المنطقية حول مفهومه للوجدان إلي أن الفن والأدب وجدان ولكنه وجدان إنسان، ولن يكمل الإنسان بغير ارتفاع في طبقة الحس وارتفاع في طبقة التفكير، والتمام في مزاياه الإنسانية أن يتم له الحس ويتم له التفكير.

من هنا فقد استقر في روع قراء العقاد، أن شعره شعر الفكرة لا شعر التجربة ـ بالمعني الرومانسي ـ، شعر الخاطرة التي تصل بالجزئي إلي الكلي، وتعبر المسافة بين المحدود واللامحدود، وتقبع في المسافة بين العَرَض الظاهر والجوهر الخبيء وتلعب علي الجدل بين المتناقضات ـ مجال الولع الشديد عند العقاد ـ بمنطقه وقدرته علي الجدل والمحاجّة.

ولن نجد تصورا يقربنا من النموذج العقادي في الشعر، كالذي نجده في حديث العقاد نفسه عما يسميه «الموضوعات الشعرية» في تقديمه لديوانه : «عابر سبيل» وهو الديوان الذي يستحق منا ـ نحن قراء شعر العقاد المعاصرين ـ كل الاهتمام والحفاوة لأنه يضم بين دفتيه جوهر شعر العقاد وخصوصيته المتميزة في الإبداع الشعري. فهو الديوان الذي يكشف لنا عن وعي العقاد بما هو شعري، وعن تجاوزه لما يسمي بالمعجم الشعري بالمعني الذي أكثر الرومانسيون الغربيون ونقادهم من الحديث عنه في كتاباتهم، وهي كتابات تتبني جميعها فكرة أن الشعر تعبير عن المشاعر.

فالعقاد يري أن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعريا تهتز له النفس أو معني زريًا تصرف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فينا حياة أو كان فينا نحوه شعور.

ويري أن كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر، لأنه حياة وموضوع للحياة.

ويفجر العقاد ثورته الشعرية الكبري في ديوانه «عابر سبيل» عندما يقرر أن «عابر سبيل» يري شعرا في كل مكان إذا أراد : يراه في البيت الذي يسكنه وفي الطريق الذي يعبره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تحسب من أدوات المعيشة اليومية ولا تحسب من

دواعي الفن والتخيل لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدي مجيبا في خواطر الناس.

وفي رأي العقاد أننا ـ نحن أبناء العصر الحاضر ـ في حاجة إلي هذا التوجيه لإنقاذ النفس الإنسانية، لا لإنقاذ الملكة الفنية وحدها، فإننا إذا تعوّدنا العناية بالأشياء وجدنا فيها ما يستحق العناية وينفض عن النفس تلك التفاهة التي غلبت علي الحياة وعلي الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

أكان العقاد ـ في نبوءته هذه ـ علي وعي بما سيئول إليه حالنا، بعد رحيله عن عالمنا باثنين وثلاثين عاما؟

لقد حقق العقاد في ديوانه «عابر سبيل» ما سبق أن دعا إليه وردزورث في رفضه للمعجم الشعري الذي كان سائدا في زمانه، والذي يفرق بين لغة الشعر ولغة النثر. وتبني العقاد لغة شعرية هي لغة الناس البسطاء، التي نجدها أوضح ما تكون في قصيدته «أصداء الشارع» التي يقول فيها :

بنو جرجا ينادون علي تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألوك تعريبا وتتريكا
وبتراكي إلي الجود علي الإسلام يدعوكا
وفي كفيه أوراق بكسب المال تغريكا
وأقزام من اليابان بالفصحي تحييكا

وإن لا تكن الفصحي فبالإيماء تغنيكا

قريب كلها الدنيا كرجع الصوت من فيكا

دعا الداعي فلبّوه طغاة وصعاليكا

إذا ناديت يا دينار من ذا لا يلبيكا

فما في الناس هذاك ولا في الأرض هاتيكا

وهي لغة شعرية تذكرنا بالصدمة التي أحسها بعض الناس عند قراءة النماذج الشعرية الأولي في حركة الشعر الجديد، ولجوء بعض رواد هذه الحركة الشعرية إلي لغة بسيطة عارية من الزخرفة والبلاغة، لغة تتسم بالواقعية الشديدة والبعد عن تهاويل الرومانسية وجلجلة الكلاسيكية وصخبها.. وهي اللغة التي تمثلها صلاح عبد الصبور في قصيدته «الحزن» إحدى قصائد ديوانه الأول «الناس فى بلادي» وهو يقول :

يا صاحبي إني حزين

طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

فشربْتُ شايا في الطريق

ورتقت نعلى

ولعبت بالنّردِ الموزع بين كفي والصديق

قل ساعةً أو ساعتين

قل عشرة أو عشرتين

وبهذا المعني، يكون العقاد سابقا لرواد الشعر الجديد ـ في تبني هذه اللغة الشعرية ـ بأكثر من عشرين عاما ـ فقد ظهر ديوان عابر سبيل في طبعته الأولي عام ١٩٣٧ ـ ولا يتركنا العقاد حتي يعود إلي تأكيد فكرته التي تمثل جوهر ثورته الشعرية وبلورتها علي هذه الصورة الشديدة التركيز وهو يقول في الصفحة الأخيرة من ديوان «عابر سبيل»:

«الفكرة في ديوان عابر سبيل هي أن مشاهد الحياة وعظات الأيام علي متناول اليد من كل إنسان إذا شاء أن يدير إليها عينيه، وأنه يستطيع أن يخلع الحياة الإنسانية علي ما حوله فإذا هو في جيش لجب من الخواطر والبدوات والخوالج والأحاسيس : عالم محشود في البيت وفي الدكان وفي الطريق وفي حيثما كان عابر سبيل».

والغريب أن هذه اللغة التي اصطنعها العقاد في «عابر سبيل» وفي غيره من دواوينه الشعرية من بعده، لم تنجح في تحريض الناس علي مقاربة شعره، أو التعامل معه، وظلت الفكرة الشائعة عن شعر العقاد والتي تدور في فلك الصعوبة والوعورة والحوشية والتعقيد هي المسيطرة، وظل الذوق الأدبي العام ينظر إلي شعر العقاد باعتباره امتدادا لدراساته في كتبه، وجها من وجوه تجلياته الفكرية، ونزعاته التأملية وولعه بالمنطق والجدل. وكان العقاد نفسه يحرض علي مثل هذا الفهم الخاطيء حين يقول في مقدمة ديوانه «بعد الأعاصير» :

«والحقيقة التي ينبغي أن نحفرها في أخلادنا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الشاهد علي ذلك أدب التحول بين

شعراء الأمم العالميين ومنهم أمثال شكسبير وجيتي والخيام وأبو الطيب.

ونخص الشعراء بالذكر لأن صدق هذه الملاحظة عليهم يجعلها أقمن بالصدق علي الأدباء الناثرين.

فأغاني شكسبير مثلا سلسلة من الأفكار التي يمتزج فيها الفهم بالشعور، ودع عنك قصائده التي نظمها في الروايات أو أجراها علي ألسنة الرجال والنساء، فإن شعر «الأغاني» أحق شعر أن يقصر علي «الوجدان» إذا صح ما يفهمه بعضهم من الأغراض الوجدانية وخلوها من التفكير.

وقصة فاوست الكبري - وهي أعظم أعمال جيتي - هي فلسفة الحياة والبقاء، وفلسفة الخير والشر، وفلسفة المعرفة والضمير، وليس فهمها بأيسر من فهم قضايا المنطق ومعادلات الرياضة والكيمياء.

ورباعيات الخيام يصحّ أن تسمي «فكر الخيام» لأن الرباعية منها تدور علي فكرة أو خلاصة أفكار، ولا يمنعها الشعور أن تكون شعور إنسان من المفكرين.

والحكم علي المتنبي ميسر لمن يقرأ العربية وحدها ولا يقرأ غيرها من اللغات، وليس في قصائده قصيدة واحدة يقول القائل إنه أهمل الفكر فيها، وإنها وجدان بغير تفكير.

فمن أمثلة ذلك القضية التي صاغها في بيت من الشعر حيث يقول :

وإذا لم يكن من الموت بـد ... فمن العجز أن تكون جبانا

أو القضية التي صاغها في هذا البيت :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كاملُ

أو هذه التقسيمات الوافية التي يقول فيها :

تصفو الحيـاة لجاهل أو غافلٍ عما مضى منـها ومـا يتوقعُ

ولمن يغالط في الحقائق نفسـه ويسومها طلب المحـال فتطمعُ

ثم يقول العقاد معقبا علي البيتين الأخيرين من شعر المتنبي :

فإن التفكير إذا ذهب في هذا المعني إلي غايته لم يأت فيه بمزيد بعد الجهل والغفلة والمغالطة في الحقائق، ولم يأت بشرح للغفلة أتم من الغفلة عن الماضي والمتوقع، ولا بشرح لمغالطة النفس في الحقائق أتم من تمادي المغالطة إلي الطمع في المحال».

العقاد إذن تشغله القضية أو القضايا في الشعر، وكيف تصاغ القضية في بيت واحد من الشعر، وهي التي تشغل منه ـ كاتبا ـ العديد من الصفحات لو أراد. كما تشغله التقسيمات الوافية التي تشير إلي منطق صارم وقدرة علي الجدل، وهي التقسيمات التي جعلت بعض خصوم العقاد ـ الكاتب ـ يقولون عنه إنه كاتب يلعب بالبيضة والحجر، وإنه يستطيع أن يقول اليوم ما يهدمه غدا، وهو في الحالين قادر علي استخدام الحجة والمنطق. والعقاد حسن الظن بقراء شعره، شديد التقدير لوعيهم وقدرتهم، فهم ليسوا من العامة المسفين في الذوق والفهم ـ بالغة ما بلغت الجرأة والادعاء ببعض الزاعمين ـ لأن العامة المسفّين لا يقرأون ما يصعب فهمه ـ أي شعره ـ علي الذين يدّعون الخبرة بالنقد والبصر والكلام، وهو المأخذ الذي يردده «الخبراء الألباء» كلما عرضوا لشعر صاحب الديوان.

والعقاد إذن علي بينة بمن يهاجمون شعره ويتقولون عليه بغير حقيقته، مدرك للمأخذ الذي يأخذه عليه من يسميهم - من باب السخرية والتهكم - بالخبراء الألباء، وهو صعوبة الفهم وعسر التناول وبعد الغاية. لكن هذا الاعتراف أو شبهته من العقاد لا تجعلنا نمضي مع هؤلاء الألباء إلي حد نفي الشاعرية كلية عن العقاد كما حاول بعضهم، ولا إلي تبني الموقف النقيض عند الآخرين الذين نادوا بالعقاد أميرا للشعر والشعراء بعد رحيل شوقي. فكلا الموقفين يبعدنا عن حقيقة العقاد الشعرية.

هل معني هذا أننا لن نجد شعرا للعقاد كالذي اعتدناه من شعراء العاطفة والخيال والتدفق الشعري؟ وهل خلا شعره من حديث الحب ومجالي الطبيعة وصبوات القلب وجموح الريشة المصورة، وهو الشعر الذي تهزنا وفرته عند شعراء أبوللو : إبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه وأبي القاسم الشابي، كما نجده غزيرا في شعر المهجريين من أمثال إيليا أبي ماضي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة - أقربهم إلي روح العقاد الشعرية؟

الإجابة أن الأمر علي عكس ذلك تماما!

فمساحة كبيرة من شعر العقاد تكاد تجعل منه شاعرا رومانسيا، يشبه شعره المهجريين، ويحلق معهم في آفاقهم ويسبقهم في الريادة والاكتشاف. لكن الحب عنده يظل مختلفا، في المعني والدلالة :

غـريرة تسـأل مـا الحب؟

بُنيّـتـي : هذا هو الحب :

الحب أن أبصر ما لا يري | أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ما سرنى | فإن أبى، فالكذب المفترى
الحب أن أسأل ما بالهم | لم يعشقوا المنظر والمخبرا
ويسأل الخالون : ما باله | هام بها بَهّراً وما فكرا

وقوله :

بُنَيتى ، هذا هو الحبُ
فهمته ؟ كلا ولا عتْبُ
مسألة أسهلها صعبُ
لا الناس تدر بها ولا الكتبُ
حسبك منها لو شَفَتْ حسْبُ
إشارة دق لها القلبُ

وهي قصيدة نطالعها كاملة ضمن هذه المختارات.

وشعر العقاد هو وحده ـ من بين كل آثاره القلمية ـ الذي يكشف لنا عن ضعفه الإنساني، ويجعلنا ننسي صورة «السوبرمان» أو «الرجل الخارق» التي نخرج بها من سائر كتاباته، صورة تتشكل من عناصر العناد والإصرار والكبرياء والتحدي والشعور بالزهو والتفوق والاستعلاء علي الآخرين. أما العقاد في شعره فهو كائن شديد الهشاشة لفرط حساسيته واتقاد مشاعره ورهافة وجدانه، تنوشه الظنون ويقلق كما يقلق الناس ويبكي بكاء الطفل الذليل ويغص بالماء الذي أعده للري، ويتقلب

في نيران الجحيم ويتمني لو باع حظه كله بساعة واحدة ينسي بها عمره فكأنه لم يولد :

يوم الظنون صدعتُ فيك تجلدي

وحملت فيك الضيم مغلول اليدِ

وبكيت كالطفل الذليل، أنا الذي

مالان في صعب الحوادث مقودي

وغصصت بالماء الذي أعددته

للريِّ، في قفر الحياة المجهدِ

وهناك من يري أن هذه القصيدة، يوم الظنون» هي من بدائع العقاد الشعرية، وشاهد علي حقيقة شاعريته، بل إنها عروس قصائده علي الإطلاق. وهو افتنان بشعر العقاد ليس بالمستغرب علي تلامذته ومريديه والراغبين في إنصافه شعريا، وقد يبالغ بعض هؤلاء فيفردون لقصيدة العقاد في رثاء «مي» موقعا يتقدم قصيدته «يوم الظنون»، ومنهم من يري أن قصيدته عن «الكروان» التي ضمها ديوان «هدية الكروان» هي الأولى بالتقديم والإشادة.

وفي هذه المختارات من دواوين العقاد، نطالع بكائيتين للعقاد تمثلان أصدق شعره عاطفة وحرارة في مجال بكاء الأحباء ووداعهم. إحداهما في وداع «مي» التي شغفت عددا من كبار أدباء ومبدعي زمانها حبا وولهًا، واستطاعت أن تقنع كلا منهم بأنه ـ وحده ـ المقرب الأثير، وكان العقاد في مقدمة هؤلاء. والثانية في وداع «بيجو» كلب العقاد الأثير،

اللصيق بوجدانه وقلبه. ومن الإنسان إلي الحيوان يرقي العقاد في إبداعه الشعري، وفي تعبيره عن مشاعر اللوعة والفقد، إلي ذروة بعيدة سامقة، لا نألفها كثيرا في شعرنا العربي. والبكاء عند العقاد ممتزج كعادته بالفكر والتأمل، والارتفاع عن الموقف المحدود إلي المعني الكلي والرؤية الفسيحة الشاملة. ها هو ذا العقاد وجها لوجه مع الموت، يواجهه ويستصرخه ويثور عليه، ويحقد علي التراب الذي يضم وديعتين غاليتين، وروحين نادرتي المثال :

كل هذا فى التراب .. آه من هذا التراب !

ولا يفوته أن يسترجع مخزونه الثقافي والنفسي عن الحيوان عامة والكلب خاصة، ويستحضر ـ بشاعريته ـ قطمير، الكلب الذي صحب أهل الكهف وارتبط اسمه بهم، وكل الكلاب في رأي العقاد ـ والذين هم علي شاكلة بيجو محبة ووفاء وذكاء ورهافة شعور ـ هم آل قطمير، المذكرون به وبأسطورته في النبل والوفاء :

يا آل قطمير هواكم عجيب

إن ثمة خزانا للدمع يمتليء به وجدان العقاد، وينهمر في بكائياته شاعرية دامعة، ومشاركة أسيانة، وضعفا إنسانيا مرتطما بالقدر، متصلبا في مواجهته وتحديه.. وهي الثنائية التي مثلها العقاد دوما باعتباره تجسيدا لحوار الصخر والنهر في مهاد نشأته الأولى : أسوان، حيث يشمخ الجرانيت والصوان في عناق النهر المتدفق، المتليء بالجنادل والصخور. هذه الثنائية التي نطالعها في تجليات شعره : انسيابَ رقةٍ

ووعورةَ خشونة، نزقَ طفولة وحكمةَ كهولة، اندفاع عاطفة وروية عقل وفكر، رضًا يتسع فيحتوي العالم وغضبا يشتعل معلنا عن رغبة في تدمير الكون - هي التي أودعت شعره هذه الفصول المختلفة من الطقس النفسي والفني، وأغنت رحلته مع الشعر بحصاد من التجارب المتميزة، والأصداء النادرة والمعالم الفريدة.

أليس هو القائل في تقديم شعره لقارئه مؤكدا هذه الثنائية :

هذا كتابى في يد القراءِ
ينزل فى بحر بلا انتهاءِ
فيه من الحكمة والغباءِ
وفيه من يأس ومن رجاءِ
وفيه من حب ومن بغضاءِ
وفيه من صمت ومن ضوضاءِ
صورة مَحْياىَ لعين الرائى
فليلْقَ بين القدح والثناءِ
ما شاءت الدنيا من الجزاءِ

وشيئا فشيئا سينحسر عنا وجه العقاد : الكاتب الموسوعى، لأن عصر التخصص وثورة المعلوماتية والانفجار المعرفي يتجاوز العقاد - فيما تناوله في كتاباته - بكثير. فلم تعد آراؤه في النبات أو الحيوان أو الفلك أو الطبيعة أو التاريخ - مثلا - صالحة للاستمرار أو مخاطبة الحاضر والمستقبل. ولم تعد وفرة اهتمامه - بالكتابة في كل شيء - تَشُدُّ

القاريء المعاصر الذي يسعي إلي التخصص الضيق والتناول العميق.. ولن يبقي من العقاد إلا شعره، خطابا إبداعيا يتجه إلي قاريء كائن وقاريء لم يوجد بعد. وستبقي في هذا الشعر صورة العقاد الحقيقية - إذا أخذنا بنظرية المرايا واعتبرنا الشعر مرآة للشاعر أو صورة لبيئته وعصره وزمانه، وجهده الإبداعي المستمر من أجل البرهنة علي مفاهيم جديدة للشعر دعا لها منذ صيحته الأولي في كتاب الديوان الذي أصدره بالاشتراك مع زميله في رحلة الحياة والفكر : إبراهيم عبدالقادر المازني، فى عام ١٩٢١، ثم عاد إلي تأكيدها وبلورتها في كتابه «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضى» عام ١٩٣٧، ولم يفته أن يشير إليها في مقدمات دواوينه الشعرية، بل وفي تقديمه للجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري. وقد يري البعض أن المسافة شاسعة بين ما نادي به العقاد من فكر وتنظير وما أنجزه من إبداع شعري وأنه في كثير من جوانب هذا الإبداع لم ينجح في التحرر من أسر النموذج الشوقي فجاءت بعض قصائده علي غرار قصائد شوقي من حيث التناول والصيغة وإن لم تَرْقَ إلي أفقه الكلاسيكي فخامة وروعة بناء.

نعم، سيبقى العقاد الشاعر أضعاف بقاء العقاد الكاتب. وسيبقى إبداعه الشعري المتميز، يجتذب مريديه وعاشقي فنه، ونموذجه الشعري، وجمهرة أخري يتملكها الفضول، فتقترب من تخوم هذا العالم الثريّ المتميز تحاول أن تكون من وارديه.

وهذه المختارات ـ من دواوين العقاد ـ محاولة لفتح الباب أمام قراء هذا الجيل ليعرفوا العقاد الشاعر علي حقيقته، وليقتربوا من نماذجه الجميلة وإبداعه الباقي، وليصافحوا فيه لغة غير تلك التي عرفوها عنه في دراساته وترجماته وعبقرياته، ندّية بماء الشعر، مشتعلة بصهد الحياة ووقدها اللافح، مبتلة ـ في أحايين كثيرة ـ بانهمار الدموع.

لقد كان العقاد يري ـ كما سجل في تقديمه لديوانه الأول ـ أن الشعر يعمق الحياة، فيجعل الساعة من العمر ساعات : «عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ممتزجة طويتك بطويته الكبيرة، تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش، وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت ...».

فلنملأ ساعات العمر بمثل هذا الشعر العميق البديع، نغنم أعمارا من المتعة والبهجة، والنشوة الرفيعة، تضاف إلي الأجل المحدود.

فاروق شوشة

مختارات من شعر العقاد

العقاد

الإهداء

إيه يا من أوحت الشعر وخانت شاعرَهْ

لك أُهديه لوَحيك

***

إيه يا من ليس يُوحيه ويمسي ذاكرَهْ

لك أهديه لغيك

***

هكذا أبرأ في الحالين من حَمْد خيانة

وأصونُ العهد ممن رام شعري بصيانة

وأداري حيْرتي خافيةً أو ظاهرة!

غزل ومناجاة

ارتجال المنى

منِّنى أطيب المنى يا حبيبي فالمنى وحدهن منك نصيبي
إن يَفتنا بمنالها لم تفتنا نظرة من خيالها المرقوب(١)

* * *

منِّني، بل دع المنى يا حبيبي فشقائي في الموعد المكذوب
هان فقد المنى التي لم تَعِدنا وافتقاد الموعودِ جدٌّ صعيبِ

* * *

أعطني! أعطني إذن يا حبيبي غيرَ ما ناكث ولا مستجيبِ(٢)
أعطني صفوك ارتجالا ودعنا من مطالٍ بالوعد أو تقريب(٣)
فارتجال المنى أحبُّ لنفس شبعت من رويّة التجريب(٤)

---

(١) المرقوب : المأمول والمنتظر.
(٢) النـاكث : من يخلف وعده.
(٣) المطـال : التسويف والتأجيل.
(٤) الرويـة : الحكمة والنضج والخبرة.

أغنيات

هذه الأغانى نظمت لتنشدها المطربة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تنشد في زورق يجري علي النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تطل علي الشاطيء، وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد :

في الهوى قلبي ... زورقٌ يجرى
أين يمضي بي ... نهره الخمرى
ليتني أدري

* * *

ليته يجري ... يا أبا الأنهار
مثلما تسري ... في حِمَى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف ... مسبل الشعر
ناعس الأطياف ... سابح الفكر
في الهوى السحري

* * *

يا رياض النيل علمي قلبي
فرحة التهليل عشت للحب
يا منى الصب

* * *

قال لي قلبي والهوى يرعاه
هو في قربي ما الذي أخشاه
عندما ألقاه

* * *

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تنشد على شاطىء النيل بعد الغروب

يا حـــبـــيـــبـبي أنت ريُّ ليس في الماء نظيره
يا حـــبـــيـــبي أنت ظل ليس للروض عبيره

* * *

يا حـــبـــيـــببي أنت بدر أين نور البدر منه؟
أين نور زانه الحـ ـب ونور لم يزنه؟

* * *

أنت عندي كل شيء! كل ما شئت يكون
قل لهـذا الليل يبقى ومع الليل السكون

* * *

قل له فهو نجيٌّ مرهف السمع إلينا
كيف يَعْصي لك أمرا والهوى طوع يدينا

* * *

الزوجة المهجورة
يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها ولم يرض أن يلازمها في المنزل ليشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم :

مــــولدي يوم شــــقــــائي   مـــات في المهـــد رجــائي

ليس فـي قـلـبـي عـــــزاءُ   أين في الدنيــــا عــــزائي!

أحــــسب البـــدر ظلامـــا   وهو مــصــبــاح الســمـــاءِ

لاح في الأُفـق وحـــيــــدا   ومـن الـوحــــــــدة دائـي

كم أرانـي النـور حـــــزنا   كـــان في طيّ الخـــفـــاءِ

إغـواء

وهذه الأغنية تنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك :

هل درى من أحـبـه ... أين في الحب مطمعى؟

هل معي الآن قلبه ... مثلما سمعه معي؟!

* * *

هل أراه بناظري ... أم أرى الطيف بالرجاء

ربما بات زائري ... وهو في البعد كالسماء

* * *

ليته يكشف الضمير! ... ليتني بالهوى أبوح!

فاكشف الروض يا عبير ... إنَّ عطر الهوى يفوح

* * *

شرعة القلب شرعتي ... ما احتياجي إلى شفيع

إن تسلني فحجتي ... في يدي - زهرة الربيع

في ساعة انتظار

يا ساعة الصفو غبت عني وحيَّرْتَ لوعتي خطاك
تائهة أنت في طريقي هداك نور الهوى هداك

***

أبطأت يا ساعة التمني وموعد الملتقى قريب
هل يبطيء البين لو سعى لي كما سعى موعد الحبيب

***

أصبحت في لهفتي عليه أنتظر الليل بالنهار
طال انتظاري له فماذا في الغيب يا ليلُ بانتظاري

***

الصدار الذي نسجته

هنا مكان صدارك ... هنا هنا في جوارك

* * *

هنا هنا عند قلبي ... يكاد يلمس حبي

وفيه منك دليل ... على المودة حسبي

* * *

ألم أنل منك فكرة ... في كل شكة إبرةْ

وكل عقدة خيطٍ ... وكل جرة بكرة!

* * *

هنا مكان صدارك ... هنا هنا في جوارك

والقلب فيه أسير ... مطوّق بحصارك!

* * *

هذا الصدار رقيب ... على الفؤاد قريب

سليه : هل مرّ منه ... إليّ طيف غريب؟

* * *

نسجته بيديك ... على هدى ناظريك

إذا احتواني فإني ... ما زلت في إصبعيك

قولي مع السلامة

نعم مع السلامة والحب والكرامة

* * *

حديثك الممتع لي

من ثغرك المقبَّل

وأنت لي في منزلي

وشيكةٌ أن تخجلي

من قبلة حَرَّى إلى لغو إلى ابتسامة

ولا تقولي عندها لا. لا. مع السلامة

حتى إلى القيامة

* * *

أما إذا مِسَرَّتي

نادتك يا حبيبتي

فاستمعي تحيتي

ثم «اسألي عن ليلتي»

ثم اضحكي وسلسلي

ضحكتك النُّغامة

فإن أطلتِ بعدها فهذه علامة

قولي مع السلامة قولي مع السلامة

في النفس

هذا هو الحب!

غـريرةٌ تسـأل : مـا الحب؟
بُنيـــتي ! هذا هو الحب!

الحب أن أبصـر مـا لا يُري   أو أغـمض العين فـلا أبصـرا
وأن أسيـغَ الحق مـا سـرَّني   فـإنْ أبى، فـالكَذِب المفـترى

* * *

الحب أن أسـأل : مـا بالـهم   لم يعـشـقوا المنظر والمخبـرا؟
ويســأل الخـالون مـا باله   هام بهـا بهْـراً ومـا فكَّرا؟[1]

* * *

الحب أن أفـــرق من نملة   حيناً، وقد أصرعُ ليثَ الشَّرى[2]
وأن أراني تارةً مـقـبـلا   وخطوتي تمشي بِيَ القـهـقرى

* * *

(١) بهرا : انبهارا وإعجابا.
(٢) أفرق : أخاف وأفزع.

الحب كـالخمـر فـإن قـيـل لي سِـكرتَ؟ هَمَّ القـلبُ أن يُنْكِرا

وكلّ عـضـو بعـده قـائـل نعم، ولا أحـفـل أن أسـكرا

* * *

الحب أن يَفْـرِقَ أعـمـارنا عـهدان، والعـهـد وثيق العُرَى

أخـسـبني الأكـبـر حـتى إذا عـانقتني ألفيتِنى الأصْغَرا[1]

* * *

الحب أن نصـعـد فـوق الذرى والحب أن نـهـبط تحت الثـرى

والحـب أن نـؤثـر لـذاتـنـا وأن نـرى آلامـنـا آثـرا

* * *

الحـب أن أجـمع في لحظة جـهـنم الحـمـراءَ والـكـوثـرا[2]

وإنني أخطيءُ في لهـفـتـي مَنْ منهمـا رَوّى ومَنْ سعّرا[3]

* * *

الحب أن يمضي عـام ومـا همـمت أن انظم أو اشـعـرا

وربما علّقت في سـاعـةٍ حـواشي الدفـتـر والأسطرا

(١) ألفيتنى : وجدتنى.
(٢) الكوثر : نهر في الجنة.
(٣) سعّرا : أشعل اللهيب وأيقظ العطش.

بُنيَّتي! هذا هو الحبُ

فَهِمْتِه؟ كلاّ. ولا عَتْبُ!

مسألةٌ أسهلها صعب

لا الناس تدريها ولا الكتبُ

حسبك منها، لو شَفَتْ حسبُ

إشارةٌ دق لها القلبَ

عدنا والتقينا

التقينا

والتقينا!

عـجـبـاً كـيـف صـحـونا ذات يوم فـالـتـقـينا

بعـد مـا فـرّق قُطرانٍ وجـيـشـانٍ يدينا[1]

فـتـصـافـحنا بجـسـمينا وعـدنا فـالـتـقـينا

بعد عصر!

أي عصر؟

والنوى تجـري وسـر الحب في الأكـوان يجـري

ثم نادانا تعـالوا فـاهبطوها أرض مـصـر

قـضي الأمـر كـمـا شـاء، وعـدنا فـالـتـقـينا

* * *

كم بكيتِ

واشتكيتِ

(١) كان الشاعر قد ترك مصر إلي السودان عندما تقدم جيش روميل الألماني من حدود مصر - أثناء الحرب العالمية الثانية - وهذه القصيدة تنبض بمشاعره بعد العودة إلي الوطن.

ثم ألهمتِ على الغنيب فأصغينا وقلتِ
قلتِ في السابع والعاشر من شهر سيأتي
ها هنا سوف تراني، فرأينا والتقينا

* * *

يوم ذكرى
ذاك أحرى
بالتقاءٍ كلما دار به الحول وأسرى
في سماء تعبر الشعرى وتدني كل شعرى[1]
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

* * *

قبل عام
ثم عام
كان يوم، أيّ يوم، في صفاء وابتسام،
يوم لاقى الحب لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

* * *

(١) الشّعرى : كوكب مضيء يظهر عند شدة الحر.

وتداني

وكلانا

زائغ الطرفِ يناجي قلباً ولساناً

ثم ماذا؟ ثم كن يا بُعْد لي قربا، فكانا

واستعان الحب بالداء حليفاً فالتقينا

* * *

كم غرام

وسقام

عرفا الحلف على غير سلام ووئام

فإذا ما اجتمعا فانتزعاني من مقامي

فبحسبي منهما أنا شكونا فالتقينا

* * *

يا فتاتي

يا حياتي

لا تراعي بعد هذا من فراق أو فوات

قَدَرُ الله كفيل لك في ماض وآت

كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا

* * *

جمال يتجدد

كلما قلتَ لي الربيع جميلٌ قلتُ : حقاً، وزاد عندي جمالا

عجباً لي، بل العجيبة عندي صور الكون كم يسعن كمالا

خلْتني قد وعيتهن عِياناً وتتبعت من وَعَوْها خيالا

شاعراً عاشقاً وقارىءَ كتْبٍ قرأ الكتب دارساً، فأطالا

فإذا نظرةٌ بلحظك تبدي صوراً ما طرقن عنديَ بالا

بِعِدادِ الانوار في أعين الحب نعد الأكوان والأجيالا

القُبلة

هي كـأس من كـؤس الخـالدينْ   لم يَشُبهـا المزج من مـاء وطين

كلمـا أفـرغـتَـهـا منتـشـيـاً   مُلئتْ من كـوثر الخلد المعين[1]

وإذا أُمــتــعك الريّ بهــا   بدأ الشــوق إليــهــا والحنين

قــد شـربناها مـعـاً في ليلنا   فَـرَوِينا ، وافـتـرقنا ظامـئين!

(١) المعين : الظاهر الذى تطالعه العين وتراه.

حسرة متلفة

يـــا لـــــه مـــــن فـــمٍ   يا لهـــا من شـــفـــة !

يا لـشَـــهـــد بهـــا   كـــدت أن أرشـــفـــه

يا لـزهـز بـهـــــا   كـــدت أن أقـطـفـــه

حلوةٌ ويـحــــهــــا !   غـــضـــة مـــرهَـفَـــة

حـــســـرتي بعـــدها   حـــســـرةٌ مـــتـلـفـــة

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل وجهــ ـك الضاحك، لا بل كل جسمكْ

لا بـل الـدنيـــــا التـي تـو مض نـوراً حــــول نجـــــمكْ

هكذا فليــبــسم البــا سم إن شـــاء كــبــســمكْ

أو فَــيَنسى البِــشْــرَ حــتى ينقل البـــشْــر، بلثـــمكْ

لا يلام الـعـــابس اليـــا ئـس إلا بـعـــــد لـومـكْ

بعد عام

كـــاد يمضي العـــام يا حلو التـــثني	أو تـــولـــى

مـــا اقـــتـــربنا منك إلا بالتـــمني	لـــيـــس إلا

* * *

مـــذ عـــرفناك عـــرفنا كل حـــسن	وعـــــذابِ

لهب في القلب، فـــردوس لعـــيني	في اقـــترابي

* * *

غـــيـــر أنا لا نرى الفـــردوس إلا	رســـمَ راســـمْ

وشـــربنا من جـــحـــيم الحب مُـــهـــلا	شـــرب هائم

* * *

لا تلمني أنَّ قلبي خـــــانني	أو عـــشـــقـــتُكْ

لـــم يـــكـــن مـــنّـــيَ إلا أنـــنـــي	قـــــد رأيتكْ

* * *

كـــان في الدنيــا جــمـــال لا يُعَــد   ثم لُحــتـــا
فــعــددنا الحــسن طراً فــهــو فــردْ   وهـو أنتـــا

* * *

أين حـــسنٍ كـــان يجلوهُ النهـــارُ   هل لبــستَــهْ؟
هل ورثت الصــبح والصـــبح مُنارُ   أم قـــتلتــهْ؟

* * *

تتـــهـــادى ويح قلبي في خطاك   لـــستَ تـــدري
لـــســتَ تـــدري أي نـــار إذ أراك   ضِـمْنَ صَـدري

* * *

ضــاحكاً يفْــتَــرّ نور البــشــر عنكا   كـــيف تعلْم
أن قلبـــاً دون قِـــيـــدِ الرمحِ منكا   قـــد تحطمْ؟

* * *

زده داءً لا شـــفى الله جـــواه   كم أســـاء
من دعـــاه للتـــصـــابي من دعـــاه؟؟   زده داء !!

* * *

أو فحسب القلب ماطَمٌ وأربى لا تُبده
قد دعاه الله للحب فلبّى لا تزده

* * *

نحن قوم يا حبيبي قد خلقنا للجمال
إن أجاد الله في الخلق أجدنا في المقالِ

* * *

صاغنا الله لشدو وغناء حيث كنا
ونهانا عن جمود وجفاء فانتهينا

* * *

قال غَنّوا وصفوا خلقي البديعْ في القصيدِ
واطلبوا أجركموُ عند الربيع والخدودِ

* * *

ليس يُعْلي آىَ فنّي غيركمْ حين تعلو
شكرها منكم ومنها شكركم ذاك عدل

* * *

مـــالكم أجـــر من الدنيـــا ســـواه فـــاغنمـــوه

يـا ذوي الحـــــــسن بـذا أوصى الإلـهُ فـــاسـمـعـوه

***

قـــد وَفَـــيْنَـا دَيْنَنَا فــاوفــوا الديونا هل رضـيـتم؟

وشـــدَوْنا فـــتـــعـــالَوا أســـعـــدونا لا شـــقـــيـتم

***

مـــا أتمَّ العـــيشَ لو تصـــفـــو القـــوافي والـغـــــرامُ

شـــاعـــر يشـــدو ومـــحـــبـــوب يوافي والســـــلامُ

***

طلاء نفس

زرقــةُ عــينيكِ لا صــفــاءُ فــيــهــا ، ولكنه فــضــاء!

حــمــرةُ خــديكِ لا حــيــاء، فــيــهــا ، ولــكنه اشــتــهــاء!

قــوامك الرمحُ لا اعــتــدال فــيــه، ولكنه اعــتــداء![1]

يا حــيــرة القلب في هواه! يا غــايــة العــمــر في مناه

وجــهك ســبــحــان من جــلاه ولــوّث الــنــفــس بــالــطــلاء![2]

* * *

حــبك لا نعــمــة أراها فــيــه، ولــكنه جــزاء

من في الصّــبــا جــرتُ في هواها!

من تلك مــقــبــولة الدعــاء؟[3]

أنتِ عــقــابي فــهــل كــفــاها بَرْحُ شقائي أو لا اكتفاء!؟[4]

يا جنة حــسنهــا عــقــابُ يا خــمــرة عــذبهــا عــذابُ

مــتى مــتى ينطوي الكتــابُ ؟

مــتي فــراقٌ بلا لقــاء!

---

(١) القوام الرمح : الشبيه بالرمح في الاعتدال والاستقامة. (٣) جُرتُ : جاوزت الحدّ وخرجت على المألوف

(٢) جلاه : صوره وأظهره في أبدع صورة. (٤) برح الشقاء : شدته وقسوة تعذيبه.

عيش العصفور

حطَّ على الغصن وانحدر أقلَّ من لمحة البصر

مغرداً قط ما تواني مرفرفاً قط ما استقر

يلمس أيكاً بُعَيْد أيكٍ كأنما يلمس الإبر[1]

مطارداً لا إلى طريد مسابقاً لا إلى وطر

كخفة الطفل في صباه لكنها خفة العُمُر

وروده نغبةٌ فأخرى من خوفِ الطائرِ الصدَر؟[2]

يقارب السُّحْبَ ثم يهوي يبشر الروض بالمطر

أصدق من سار في سرار بين الحيا العذب والشجر[3]

ويستحث الرياح ضرباً بخافقيه فتبتدر

لله ما أهول المطايا وأضعف الراكب الأشِر[4]

طار وليداً وطار شيخاً بين البساتين والغُدُر

لا أعين الماء ناضباتٌ ولا خلا الروض من ثمر

أخبرُ بالنضج مقلتاه ممن سقى الحب أو بذر

سله عن الجند والزمر سله عن المُلْكِ والسُّرُر[5]

---

(١) الأيك : الشجر الكثيف الملتف. (٤) الأشر : المرح

(٢) نغبة : رشفة قليلة. (٥) الزمر : جمع زمرة أي الجماعة والمقصود الأعوان. السُّرر : جمع سرير أي العرش.

(٣) الحيا : المطر.

لـم يـأتـه عـنـهـم بـلاغ ولا دلـيـل ولا خـبـر
هذا هو العـيش فـاغـبطوه عليـه يا أيهـا البـشـر

* * *

هذا هو العـيش فـارحـمـوه عليـه واستـخـبـروا الغَـير[1]
فـإن سـألتم فـسـائلوه عن صولة الصـقـر إن كسـر[2]
وحـيـلة الدبّق في ثراه وغـيـلة الحـيـة الذكـر[3]
هـنـاك يـنزو لـه فـؤاد لا يـجـهـل الريب والحـذر
لم يخف عن أعين الليـالي ولا تـوارى مـن الصـغـر
حـبـائل الدهر قـانـصـات من طار أو غـاص أو خطر[4]
من عـاش يـومـاً أو بعض يوم يعلم مـا ضـربة القـدر
أليـس هذي الحـيـاة ذخـراً وحـارس الذخـر في خطر؟؟

(١) الغير : صروف الدهر وأحداث الزمان. (٤) خطر : مشي وهو يشعر بالتيه والكبرياء.
(٢) إن صار كاسرا : أي منقضا على الفريسة.
(٣) الدبّق : الشَرَك الذى ينصبه الصياد للفريسة.

الوداع

معربة عن بيرنز [1]

قُــبلة بعــدها يطول الفــراق ... وعناق، وليس بعـــدُ عناق

سوف أبكيك والمحاجر شكرى ... بدمـــوع من الفــؤاد تراق[2]

سوف أدعوك في الدجى بأنين ... وزفير في الصدر منه احتراق

كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً ... مَن محياك نجمه الألاق[3]

بيد أني درجت في ظلمة اليأ ... س فحَولْي من الظلام نطاق

لست أَلْحى على الهيام فؤادي ... قدَرُ الحب دفعه لا يطاق[4]

من رآها فكيف يسلو هواها ... يعشق القلب إذ ترى الأحداق

آه لولا صـــبـــابة وغـــرام ... قد شربناه والكؤوس دهاق[5]

ما غدونا ولي فؤاد كسير ... وجبين سيـــمـــاؤه الإطراق

فسلاماً يا قرة العين والقلـ ... ـب وأحلى من صورِ الخَلاق

حاطكِ الله بالسعادة والحب ... ورواكِ مـــاؤه الرقـــراق

قُــبلةً بعــدها يطول التنائي ... وعناق، أوّاهُ! ثم افـــتـــراق

---

(١) القصيدة مترجمة عن الانجليزية.

(٢) شكرى : ممتلئة. تراق : تسكب وتنهمر.

(٣) عثرة الجد : خيبة الحظ وفشله. الألاق : المشرق المتألق.

(٤) ألحى : ألـوم.

(٥) دهاق : ممتلئة.

النوم

أيا ملكاً عرشه في العيو ... ن يظلل دنيا الكرى بالجناح[1]

ضممت عليك جفوناً ترا ... ك أبرّ بها من وجوه الملاح

تُلم بأهدابها في الظلا ... م فتنسى جبين الزمان الوقاح

وتدني إلينا بعيد الرجا ... ء إذا الدهور مآطلنا بالسماح

أراك خلقت لنا هدنة ... تعاودنا في مجال الكفاح

إذا ما رفعنا سلاح الجلا ... د تُلمُ فنُلقي إليك السلاح

فتجمع بين الظباء الضعا ... ف وبين ليوث الشرى في وشاح[2]

ويجفو الحبيب فتؤتي المشو ... قَ من لذة الوصل ما لا يتاح

وتحرس أجسامنا في المها ... د وتخلي لأرواحهن السراح

تحلق بالروح بين النجو ... م وتلقات وبين البطاح

وتبعث طيف الزمان القد ... يم قد نام في لحده واستراح[3]

(١) الكرى: النوم.

(٢) الظباء: الغزلان. ليوث الشرى: الشرى موضع اشتهر بكثرة الأسْد فيه والليوث: الأسْد.

(٣) اللحد : القبر.

وتسبق بالحالمين الزمان إلى زمن سره لا يباح

كأن الرقاد أبٌ مشفقٌ يعلل طفلاً أطال النواح

يلقّيه تمثال زُهْر النجوم وكان له في النجوم اقتراح

أمانيٌ يحظيٰ بهنّ النيام، وجِدُ الحياة شبيه المزاح

ولو رام يسعى إليها امرؤ تقضّى به الدهور دون النجاح

إذا كان عيش الفتى لا يدوم فهزل المنام كجِدِّ الصباحْ

زهريات

وردة محزنة

وردتي! فيم أنت ضاحكة	يلمح البشرَ منك من لمحا[1]
فيم هذا الجمال يحزنني	رونق فيه كان لي فرحا
كنت أهوى الورود أصلحها	ما لذكرى الحبيب قد صلحا
هو في نيتي هديته	وهو فوق الغصون ما برحا
وأخال القبولَ يرمقه	واضحاً فيه كلما وضحا
ثم ولى الهوى وأعقبني	نظراً ينكر النهار ضحى[2]
فإذا الورد غصّة وشجًا	يتراءى بالهجر لي شبحاً[3]
وإذا الزهر كاليتيم إذا	راق في العين حسنه جرحا
كان للحب زينة فغدا	أثراً فوق لحده طُرحا
الذبول الذبول أرفق بي	من رواء يزيدني ترحا[4]

(١) البشر : السرور.
(٢) أعقبني : أتبعني.
(٣) الشجا : ما يعترض الحلق من عظم ونحوه.
(٤) رواء : جمال وبهاء. ترحا : حزنا شديدا.

سيان

إن قيل بالحق أو البهتانِ

دعهم يقولون، وقل سيانِ![1]

سيانِ مهما افترق الضدان

سيان مهما اختلف الخَصْمانِ

سيان ألفٌ هي أو ألْفانِ

سيان بيدٌ هي أو مغان[2]

سيانِ نور أو ظلامٌ فانِ

سيان من يلهو ومن يعاني

قلْها ببرهان ولا برهانِ

وأنت أنْتَ أحكم الزمانِ

وإن تَصَدّوْا لك بالنكران[3]

أو ضحكوا سُخْراً فقلْ سيانِ![4]

(١) سيان : مثنى سيّ : وهو المثْل والنظير.

(٢) بيد : جمع بيداء أي صحراء. مغان : جمع مغنى: المكان الأهل بالحياة والناس.

(٣) تصدوا : تعرّضوا وقاوموا.

(٤) سُخرا : استهزاء وسخرية.

نفثة

ظمآنُ ظمآنُ لاصوب الغمام ولا عذب المدام ولا الأنداء تُرويني(١)

حيران حيران لانجم السماء ولا معالم الأرض في الغمَّاءِ تهديني(٢)

يقظان يقظان لاطيب الرقاد يُدا نيني، ولا سمر السُّمَّار يلهيني

غصَّان غصَّان لا الأوجاع تُبليني ولا الكوارث والأشجان تبكيني(٣)

شعري دموعي وما بالشعر من عوض عن الدموع نفاها جفنُ محزون

يا سوءَ ما أبقت الدنيا لمغتبطٍ على المدامع أجفانَ المساكين

هم أطلقوا الحزن فارتاحت جوانحهم وما استرحتُ بحزن فيَّ مدفون

أسْوانُ أسوان لاطب الأساة ولا سحر الرُّقاة من اللأواء يشفيني(٤)

سأمان سأمان لا صفو الحياة ولا عجائب القدر المكنون تعنيني(٥)

أصاحب الدهر لا قلب فيسعدني علي الزمان ولا خل فيأسوني

يديك فامحُ ضنىً يا موتُ في كبدي فَلَسْتَ تمحوه إلا حين تمحوني

---

(١) الأنداء: جمع ندى.
(٢) الغماء : الشدائد العظيمة.
(٣) غصان : ممتلىء الحلق بالماء.
(٤) الأسوان: الشديد الحزن والأسي. الأساة: الأطباء والمفرد: الآسي.
(٥) المكنون : المصون والمحفوظ

أين الدموع

يا غزير الدموع! أين الدموعُ؟ — كم تريد البكى وما تستطيعُ

كيف سلواك والفؤاد بما يُسْـ — ـليه في فاجعاته مفجوع(١)

لهفَ نفسي عليك يا قلب يأبى — فيك إلا الكُمونَ داء وجيع(٢)

عبراتٌ، بُرءُ الجوى لو أريقت، — وسمام حتى تراق نقيع(٣)

كمنت فيك لا تفيض ولا تبر — د فالصدر من شجاها صديع(٤)

لو جرت في السحاب أجفل أويأ — زمُ عن سَبْحه الفضاء الوسيع(٥)

نضب الدمع أم مجاريه سدَّت — أم فؤادي تاموره مقطوع(٦)

كلما رمت في الجوانح ماءً — هاج للنار بينهنّ سطوع

(١) السلوى : العزاء.
(٢) الكمون : الاختفاء والتواري بعيدا عن العيون. الوجيع : الموجع
(٣) العبرات : الدموع. السمام : جمع سم. النقيع : المهلك.
(٤) صديع : متصدع، متهالك.
(٥) يأزم : يواظب علي الأمر ويلزمه. السبح : الجرى الشديد. يقال للحصان السريع: سابح
(٦) تاموره : قلبه أو غلاف قلبه.

من يذق غصة الشراب فما بي ... غصة غير أن تفيض الدموع

إنما الحزن ريض مما استقى الد ... معَ وأندى الأحزان حزن رضيع

يحرق الجمرُ يابسَ الحطب الجز ... ل ويأبي الحريق لدنٌ مريع

فيك يا حب كل هذا ؟ فبعداً ... لك داءٌ ترياقه ممنوع(١)

غمرات وخدعة وجهادٌ ... وسهاد وحسرة وولوعُ

(١) ترياقه : دواؤه.

متى!

متى يا عيون يعود الضياءُ؟ ... متى يا رياض يعود الربيع؟
متى تأمرين؟ متى تأذنين؟ ... متى تَقْبلين دعاء الشفيع؟

* * *

متي يرجع الغائب المرتجى ... إلى صدر أُمٍ براها السقام؟
متي يهبط النوم تحت الدجى ... لعينيك يا ساهراً لا ينام؟

* * *

متى يطلع النجم للتائهين؟ ... وقد غرقوا في ليالي الخطوب
متى يجمع الشطُّ تلك السفين؟ ... وقد عاث فيها الخضم الغضوب

* * *

متى يأذن الجائعون الظما ... ء في الماءِ يطفىءُ حَرَّ الصدى
وفي الزاد يبقى ذماء الحيا ... ة، وفي الخمر يعلو بها مُصعدا

* * *

متى؟ إي وربِّك قل لي متى؟! وسلهم عن اليــوم والموعــد

فــقــد يُقــبل الزائر المرتجى ولا من مُــلاقٍ له في غــد؟!

* * *

إليك مثال السؤال العجيب وأنت بأحلى مــثـــال تجــود

عــشــيــةَ تبــسم عند الودا ع وتسأل : في أي يوم أعود!

الطير المهاجر

علمتني مواسم الروض أن الطير شتى : مهاجر ومقيم

أتراني لا أسمع الطير إلا ... في رياضي معششاً لا يريم؟

رب شادٍ في هجرةٍ يتغنى ... وعليه السلام والتسليم

من جنوب إلى شمال، وحيناً ... من شمال إلى جنوب يحوم

فله حين يستقل وداع ... وله حين يقبل التكريم

خذ من الطير كلٌ يوم جديداً ... فسواء جديده والقديم

كم مُولٍّ وصفوهُ لا يُوَلِّي ... ومقيمٍ وصفوه لا يقيم

اليوم الموعود

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى شوقي إليك، وما أُشاق لمغنم؟

شوقي إليك يكاد يجذب لي غداً من وكره، ويكاد يطفر من دمي

أسرعْ بأجنحة السماءِ جميعها إنْ لم يطعك جَناح هذي الأنجم

ودع الشموس تسير في داراتها وتخطَّها قبل الأوان المبرم

ما ضرَّ دهرك إن تقدم واحدٌ يا يومُ من جيش لديه عرمرم

لي جَنَةٌ يا يوم أجمع في يدي ما شئتُ من زهر بها متبسم

وأذوق من ثمراتها ما أشتهي لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي

وتطول من حولي نوافر عُصْنها ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلذُّ لي منها الوهاد لذاذتي بتصعُّدٍ في نجدها وتسنُّم

لم آسَ بين كرومها وظلالها إلا على ثمر هناك محرَّم

فكأنما هي جنة في طيِّها ركنٌ تسلل من صميم جهنم

أبداً يذكّرني النعيمُ بقربها حرمانَ مزءودٍ[1] وعُسرةَ معدم

وأبيتُ في الفردوس أنْعم بالمنى وكأنني من حسرةٍ لم أنْعَم

* * *

يا يوم موعدها ستُبْلِغُني المنى وتُتمُّ لي الفردوس خيرَ مُتَمَّم

لا غصن رابية تقصِّر راحتي عنه، ولا ثمر يعز على فمي

سأظل أخطر كالغريب بجنتي حتى أثوب على قدومك، فاقْدُم

فأبيتُ ثَم إذا احتواني أفقها لم أنْهَ عن أمل ولم أتندم

فرحي بصبحك حين تشرق شمسه فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

أمعيرتي خلد السماء سماحةً صونيه عن وَلهٍ صيانةَ مكرم

رفقاً بخلدك أن تشوبي صفوه إنْ لم تريْ رفقاً بمهجة مغرم

(١) المزءود : الشديد الفزع.

يومَ الظنون

يومَ الظنون صدعتُ فيكَ تجلُّدي ... وحملتِ فيك الضيم مغلولَ اليد[1]

وبكيتُ كالطفل الذليل أنا الذي ... ما لان في صعب الحوادث مِقوَدي[2]

وغصصت بالماء الذي أعددته ... للري في قفز الحياة المجهدِ

لاقيت أهوال الشداء كلها ... حتى طغت فلقيت ما لم أعهد

نارَ الجحيم إليّ غيرَ ذميمة[3] ... وخذي إليك مصارعي في مرقدي

حيرانَ أنظر في السماءِ وفي الثرى ... وأذوق طعم الموت غيرَ مصرَّدِ[4]

أروَى وأظمأ عذْبُ ما أنا شاربُ ... في حالتيَّ نقيعُ سم الأسوَدِ[5]

وأجيل في الليل البهيم خواطري ... لا شارقٌ فيه ولا منْ مُسعدِ[6]

وتعيد لي الذكرات سالف صبوتي ... شوهاء كاشرة كما لم أشهد

---

(١) مغلول اليد : مقيد اليد.

(٢) المقود : الزمام.

(٣) نار الجحيم إليّ : تعاليْ إليّ وأسرعى.

(٤) المصرَّد : الشراب الذى لا يعقبه ارتواء.

(٥) سم الأسوَدِ : سم الثعبان.

(٦) البهيم : المظلم.

مُسختْ شمائلها التي سعدت بها ... وبدت بوسْم في السعير مخلَّد

يا صبوة الأمس التي سعدت بها ... روحي، وليت شقيَّها لم يسعد

وعرفتُ منها وجهَ أصبحَ ناضرٍ ... ورشفت منها ثغر ألعَس[1] أغيد

سُومحت بل جوزيت كيف وعيت لي

بالأمس فيك ضراوة الذئب الصدي[2]

سُومحت بل جوزيت كيف طويت لي

زرق الأسنَّة في الإهاب الأملد[3]

أمسيت حربي في الظلام وطالما ... جلّيت لي وجه الظلام المربد

ورجعت أهربُ من لقاك وطالما ... ألفيتُ عندك في الشدائد مقصدي

ما كان من شيء يزيد تنعُّمي ... إلا يزيدُ اليومَ فيكِ تلددي[4]

أواه من أمسي ومن يومي معاً ... والويل من طول التردد في غدِ

---

(١) الألعس : الأسمر الشفة : وهي سمرة مستحبة. (٣) الأملد: الناعم والطرى.
(٢) الصدي : المتعطش إلي الدماء. (٤) تلدّدي: عذابي وشقائي ومعاناتى.

أهبُ الخلودَ كـرامـةً لمبـشـري ... أن ليس يومي في العذاب بسرمد[1]

وأبيع حظي في الحيـاة بسـاعـة ... أنسى بهـا عـمرى كـأن لم أولدِ

وأسوم مرعى العـيش غير مزوّد ... وأرودُ روْضَ الحسن غيرَ مقيّد[2]

(١) السرمد : الخالد والمستمر إلى الأبد.
(٢) أسوم مرعى العيش : أمارس الحياة وأعيش أحداث الزمان.

غيرة طفلة

مـا كـان أملج طفلة — من غـيـر شيء تخـجلُ

ضاحكتها فتمايلت — وشعورها تتهدلُ

ورجوت منها قبلةً — فأبت كمن يتدلل

وتعبت وهي تصدُّني — حيناً وحيناً تقبل

فرفعتُ مرآة لها — فتطلعت تتأمل

قلت انظري في وجهها — أفأنت أم هي أجمل

قالت وفيها غضبة — أنا بالملاحة أمثل

ومضت تقول إلى متى — تنسى الجميل وتجهل

وأقول ايكما إذن — أدعو بها فأقبّل؟؟

عطفت عليَّ وكل محبو — ب يغار فيسهل

تبكين

تبكين! والـلهفَ الفـؤاد يذيبـه ذاك الحنين يذوب في خـديك

أيراكِ باكـيـة وأنت ضـيـاؤُه ونعـيـم عـيـشي كله بيـديك؟

وعـزيزةٌ تلك الدمـوع فليـتـهـا يقنو قُـطيـرتهـا نظيم سُلَيك

لملأت ثَمّ يدي بأكـرم جـوهر من عطف قلبك فاض من عينيك

* * *

لو أستطيع جـمعت كل ذخيرة في الدهر من ضـحك يروق لديك

ونغـمت أطربَ شـدوه وجـعلتـه بين الكؤيس العذب من شفـتيك

فيضج مزدهياً بفيك وتنتشي فـرحـاً قلوبُ الناظرين إليك

ما أحسن الحسن المهذب ضاحكاً وأحب جلبـاب السـرور عليك

* * *

والله مـا ضنَّ السـرور ومـا ونى يَشـتـاق هزته على عطفـيك

لو شـئت كل مـسـرة مـبـذولة لجـثت مـسـرات على قـدمـيك

إلى ربة الحب
الزُّهَرَة

فريدةَ الأفق أسعديني — وخالسي النجم وارمقيني
وسلسلي النور صوبَ عيني — وعن شمالي وعن يميني
أشعةً ينبثقن شتى — كأنها عذْق ياسمين[1]
أراك تغوينني بوحيٍ — إلى السموات يزدهينى
إغواءَ ذات الدلالِ صينت — في ذروة المعقل الحصين[2]
فهل سبيلٌ إليك يُبغى — وأنت أعلى من الظنون؟

***

فيك ضلالٌ وفيك رشد — فضلليني وأرشديني
بين وجوه تضل من لا — يضل في ضوئها المبين
كوني مناراً فالحب بحرٌ — قلوبنا فيه كالسفين

لما تجليتِ لي استضاءت — خواطري وانجلت شجوني
يا طالما تخدع الدرارى — لواحظ الشاعر الحزين

(١) العذق : الفرع والغصن من الشجرة

(٢) المعقل الحصين : القلعة المنيعة.

طلعة الحلم

يا طلعة الحلم متى ألقاكِ؟ فداك كل طلعة فداكِ

ما النور من شمس ولا أفلاك جلاَّك لي، كلاَّ، ولا حلاَّكِ

أنت ارتفعت بي إلى علاك وهبتني نوراً به أراكِ

لو لم أكن أُصغي إلى خُطاك قلتُ خيالٌ من قوامٍ زاكِ[1]

في لجة النور بدا يُحاكي صورتَه في عالم الأملاك[2]

في معزل عن ضاحك وباكِ فوق غرام النفس مشتهاكِ

إذا المنى حامت على ذُراك فإنما تصبو إلى معناك[3]

وبالتسابيح تمنيناك وكل حسن يُشتهَى سواكِ

تعالياً عن تلكم الشباكِ

حاشاك من دنيا الهوى حاشاكِ

---

(١) زاك : جميل ومتألق.
(٢) ذراك : قممك العالية.
(٣) اللجّة : الموجة العاتية، ولجة النور : النور الغامر.

خواطر وهواجس

يوم ميلادي

يومَ مــيــلادى تقــدمْ وتأخَّـــرْ ... وتـــكلم
لا تقل لي قــبل عــام كـــيف كنا، أنا أعلمْ
لا تقل لي بعـد عـمري كـيف نُمسي، لستَ تعلم
غـــاية الأمـــر أظانــ ـينُ، وبعض الظن يأثم[1]
سوف نمسي مثل ماكنـ ـا، ولـم نـولـد ونُـفـطَـم
إن يكن ذلك شـيــئـاً لستُ بعــد الموت أعــدَم
أو يـكــن لـيـس بــشـيء أتَـرى «لا شيء» ينـدم؟!
أيَّةُ الحــــالين قـل لي بعــد طول العــمـر أسلم؟!
تـظـلـم المــوت إذا قـلـ ـت ظلومٌ لـيـس يرحم[2]
نحن لا بالموت أعْطِينا ولا بـالمـوت نُـحـــــــرم
من يَعُدْ يوماً كـمـا كا ن فـــقــــد تمَّ وتَـمَّـم
صفـقـة الأعـمـار فـيـهـا قلة الخــسـران مــغنم

(١) أظانين : جمع ظن. (٢) ظلوم : كثير الظلم.

إلى الشفاه لا إلى الآذان

فـيـم أروي لكِ شـعـري؟   أنـا أدرِي، أنـا أدري

* * *

أنـا أدري يا فـتـاتي   حـيث أُلقي بالأغـاني

إن شـعـري سـمـعـتـهُ   شـفـتـانِ .. شـفـتـان!

ها هنا سـرب إلي القلـ   ـب الذي أعنيـه دان

* * *

رفَّ شـعـري حـيث رفَّت   بالأمـاني قـبـلاتي

وتصـفَّـحت صـداه   قـبـسـاً في الوجنات

هو من ثغـر فـتـاتي   وإلى ثغـر فـتـاتي

* * *

فـيم تسـعى رحلتي بيـ   ـن المعـاني وتطولُ

ها هنا الشـعـر ومـوحي الـ   شـعـر يصـغي ويقـولُ

كل إصـغـاء لعـمـري.   بين هذين فـضـولُ

نفثة

غـــــربوا قلبي وهم وطن ... ومـضـوا عني ومـا ظعنوا[1]

واســتــقلوا حـيث لا رُسل ... تبلغ المســعى ولا سُنن[2]

هجـروا والهـجـر مـبـعـدة ... ليـتـهـا تجـتـابهـا السـفن

أين منا دار وصلتـــهم؟ ... قـــربت لو أنـهـــا مــدن!

دارهـم لا قُــــوضـت أبداً ... غُـــرة في ظلهـــا سكنوا

غـرةٌ في الحـسن تبـعـدنا ... وبهـــا في الحـــسن نفـتتن

أين لا أين الـقــــرار بنا ... آذنـوا بالـبـين أم قـطنوا[3]

دارهم من حــيـثـمـا نزلوا ... قنة تعنو لهــــا القنن[4]

أي فـــــردوس علمت به ... لـم يحطه المـوت والإحـن[5]

هذه الجنات نبـــصــــرها ... هل لنا في بعضهـا وطن؟

* * *

(1) ظعنوا : رحلوا وسافروا.
(2) سُنن : علامات وسُبل.
(3) البين : الفراق . قطنوا : أقاموا.
(4) القنة : أعلى الشيء وقمته.
(5) الإحن : جمع إحنة : البلاء الشديد.

مـــا لكم يا روضَ أنفـــسِنا لا يقـــينا شـــمـــسَكم غـــصن؟

لو عـلمـــــتم مـــــا نكابده لانَ منكم جــــانب خـــــشن

رحــــمـــــةً يا من نهـــيم به وهـو يقـــــــلانا ويضطغن

هل علمتَ الجـمـر مفـتـرَشاً والصـلالَ السـود تُحـتـضن[1]

ذاك أو حـــمـى تَضَــمّنهـــا جـسـدٌ واهي القـوى ضـمِن[2]

تتلقـــاه بصْــرعـــتـــهـــا فـــيـــحـــار الموت والوهن

بعض مـــا نلقـــاه من شـجـن بك والنوام قـــــد سكنوا

عندمـــــا يخلو الظلام بنا حــــــيث لا عـين ولا أذنُ

***

زمنى جـــــوزيت يا زمني أي بأس فـــــيك لا يهن[3]

مـــا الذي أبقـــاه لي زمني غـــال صـــفـوي كله الزمن[4]

ليس لي في مــبــصَــر أمل كل شيء فـــيـــه لي شـــجن

لا أرى في القـبح من حـسن فلمــــاذا يقـــبح الحـــسن

---

(١) الصلال : الحيّات

(٢) ضمن : مريض وعليل.

(٣) لا يهن : لا يضعف.

(٤) غال : بدد وقضى على.

شاهت الأوصاف في نظري سرها المخبوء والعلن[1]

ما الأماني؟ إنها خدع ما الغواني؟ إنها دِمَن[2]

ما الصداقات التي زعموا؟ إنها البغضاء تؤتمن[3]

ما العلا؟ ما المجد؟ في أمم مجدها بل ربها وثن[4]؟

ما السجايا الغر وا أسفا إنها حلم ولا وسن[5]

بل سل الأقدار إن نطقت ما حياة شأوها بدن

نشتري أنفاسها قطعاً وهي نعطيها ولا ثمن

أقصارى الطرف من نظر رؤية بالويل تقترن؟[6]

والعمى رزء وإن وضحت في ضياء المبصر المحن

ضل عقل لا ترفّهه نشوة تطفو بما يزن

إنما يشقى الفؤاد وما شقيت إلا به الفطن[7]

(١) شاهت : قبحت.
(٢) الدمن : جمع دمنة ، الأثر المتخلف من الديار.
(٣) البغضاء : شدة الكراهية.
(٤) وثن : صنم.
(٥) السجايا الغرّ : الأخلاق والطباع الكريمة.
(٦) القصارى : الغاية والمنتهي. الطرف ، البصر.
(٧) الفطن : العقول.

عهد بين عامين

أحـــبّكِ فـي الـسـنـة الآتـيـــة | كـحـبـيـك فـي السنة الماضـيـة
ويـكـبــــر شـــوقـي بـطـول المدى | كـمـا تـكـبـر الدوحـة الـنـامـيـة
«سـعــاد» ويـا حـسـن هذا الـنـد | اء إذا مـا وجدتك لـي صـاغـيـة
نـســيـتُ التـــواريخ إلا الـتـي | تـعــــود بـذكـــرك لـي راويـة
فــأنت الـزمـــان وأنت المكا | ن وأنت غنى النفس يا غـانـيـة
ولست أعــدُّ حـــســاب الـسـنـ | ـين بالشـمـس طالـعـة خـافـيـة
ولـكـن بـوجـهـك لـي مـقـبــلاً | ونـظـرتـك الحلوة الـســاجـيــة
فـيـوم الرضى عــالم حــافـل | من الحب والذكـرة الـبـاقـيــة
ويـوم الـنـوى عــــالم مـظـلم | تَـضـل الـشـــمــوس بـه هـاويـة

* * *

دعي الـنـاس يـحـيـون أيـامـهـم | ويَـلْهــونَ بـالضـجـة الخـاويـة
فـعـيـدي بـقـربك لا يـنـقـضـي | وأُعـــيـــادهم كلهــا فــانـيــة
إذا انـتـظـروا الـعـــام لـم أنتظر | سـوى لمحـة منك لـي كـافـيـة
فـهـاتي سـرورك لـي صـافـيـاً | وجـودي بأعـيـادك الـغـالـيـة
ودمت لـعـــبــاسك المرتـضـى | ومتّعت بالحسن والعـافـيـة[1]

(١) عباسك المرتضى : يقصد الشاعر نفسه.

صوت من السماء

لمـــا رأتـــنـــيَ أهـــلاً ... لأن تراني مـــحـــبـــا[1]

وأرسـلـت لـــيَ نـــوراً ... من قلبـهـا الرحب رحبـا

رُدت إليَّ حــــيـــــاتي ... روحـاً وجـسـمـاً وقلبـا

وأخصَبَ الشـعـرُ عندي ... وكـــان بالأمس جـــدْبا

لا بل علمتُ يـقـــيـناً ... علمـاً مع الروح شـــبـا

بـأن للـحب صـــوتا ... من الســـمـــاء يُلبّى

وأن للعـــيش مـــعنى ... وأنّ لـــلــكـــون ربّـــا

(١) أهلا : مستحقا وجديرا.

الحان والمسجد[1]

تريدين أن أرضى بك اليومَ للهوى   وأرتاد فيك اللهو بعد التعبيد
وألقاك جسما مستباحاً وطالما   لقنيتك جمٌ الخوف جمٌ التردد

رويدك إني لا أراك مليئة   بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعثرة   ترد مهاد الصفو غير ممهد[2]
إذا لم يكن بد من الحان والطلى   ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي[3]

---

(١) الحان : مكان شرب الخمر.
(٢) مهاد الصفو : السرور المهيأ والمتعة الجاهزة.
(٣) الطلى : الخمر.

كلماتي

كلمـــاتي ! كلمـــاتي ! صـدق الوعـد فـهـاتي

هل مـعـيني وحـيك الصا دق أو وحي اللغـــات؟

أنا أستـأديك[1] مـا لم تبلغـيـه بأداة

من مـعـاَن تتـعـالى عن لسـان ولهـاة[2]

فـاسـألي الأرباب عن تلـ ـك المعـاني الخـالدات

أوسلي الصمت فكم صمـ ـتٍ له علم ثقـات

ينتـهي شـأو الأحـاد يث إليـه والرواة

وبـه لاذ هـداةٌ عـرفـوا وحي النجـاة

* * *

انظري يا كلمـاتي وأصيـخي في أناة

مـا ضيـاءٌ ثم في الأفـ ـق، وفي كل الجـهـات

---

(١) استأداه الشيء : طلب منه أداءه.

(٢) اللهاة : لحمة مشرفة على الحلق.

لا مـــن الارض ولا مـــن	دارة الأفـــــــلاك آت
لا تراه غــيــر عــيني	وهـو مـلء الـكـائـنـات
هل يرى الدنيـا امـرؤٌ لم	يـر منـه قـبـســات؟
كـلمـــاتي أنت في وا	د من التـيـه شـتـات[1]
اســألي الأرباب عنه	أو سلي الصـمت وهاتي

* * *

كلمـاتي مـا تقـولـ	ـين إذن يا كلمــاتي
مــا نعــيمٌ يمنح الكـ	ـف غـذاء المهـجـات
تقـصـر الألبـاب عنه	وهو بعض اللمـسـات
في يدي أدعـوه خـصـراً	تــارةً أو زهــرات
في فـمي أدعـوه ثغـراً	تـارة أو قـبــلات
وفـؤادي؟ مـا اسم مـا فـيـ	ـه إذن يا كلمــاتي
اســألي الأرباب عنه	أو سلي الصـمت وهاتي

* * *

(١) الشتا : المتفرق.

نشـــــواتٌ تلك ؟ لا بـل   تلك فـــوق النشـــوات

يـقـظـات تـلـك؟ لا بـل   تلك غـــيـــر الـيـــقظات

بلغت منهـــا مـــداها   وارتقت مـــرتفـــعـــات

تسلس اليـــقظة للوصـ   ـف وتصــــغي وتؤاتي

فـــإذا جـــازت مـــداها   لزمت صـــمت السـبـــات

كلمـــاتي ! مـــا تقـــولـ   ـين إذن يا كـلمـــــاتي

اســـألي الأرباب عنهـــا   أو سلي الصـــمت وهاتي

* * *

لحـظـة تمـنـح قـلـبـي   كل هاتيك الهـــبـــات؟

لحظة ترفع عـــمـــري   حـــقـــبـــاً مـــتـــصـــلات؟

ربَّ عـــمـــر طال بالرفـ   ـعـــــة لا بـالـسـنـوات

لحـظـــة ؟ لا بـل خـلـود   لاح بـــين الـــلـــحـــظـــات

كـــالســـمـــاوات تراهـــا   من شـــبـــاك الحلقـــات

ربَّ آبـــــاد تجـــلّـــتْ   من كـــوى[1] مـــخـــتلفـــات

(١) جمع كوة وهي فتحة في الحائط.

وقُطيرات زمان مـلأت كـأس حيـاة

وإذا مـا طغت الكأ س فـقل في السكرات!

سكرة تُغشي وأخرى تغتلي بالصحوات[1]

هكذا بتنا رفيقـ ـين لزيمَيْ لثمات

غـائبٌ غـافٍ، وصاح لحفيف الهمسات

كلماتي. ما تقوليـ ـن إذن يا كلماتي

اسألي الأرباب عنا أو سلي الصمت وهاتي

* * *

أين أمـلاكٌ على أبراجها المطلعات

تصقل الآفاق في الليـ ـل وتجلو النيّرات[2]

لا أرى الدنيا على نو ر الليالي الغابرات

أين؟ لا بل ندع الدنيـ ـا وراء الحجرات

نورنا الليلة مصبا حٌ وليدُ اللمحات

غض جفنيه حياءً من غضيض النظرات

(١) تغتلي : تزيد وتشتدّ

(٢) النيرات : الكواكب والنجوم المضيئة

شـفـقـيـاً أو فـقل إن شئت فـجـريّ السِّمـات

عـسـجـداً بارك حـسناً عـسـجـديٌّ الـبـركـات[1]

سـبـحتْ عـيني ونفـسي ويدي في غـمـرات[2]

في كنوز منهـمـا أيِّ كنـوز مـغـنيـات

ثـروة أنفـق منـهـا لحـيـاتي ومماتي

ولبـعـثي يوم أن تُبـعـث في الطرس وَصـاتي

كلمـاتي ! مـا أراك اليـوم إلا خـبـاذلاتي

عـنـك أغـنـتـني كـنـوزي وكنوزي ملهـمـاتي

* * *

سـمـعـتني كلمـاتي واسـتـعـادت دعـواتي

ثم قـالت في حـيـاءٍ كـالعـذارى الخـفـرات

باح لي الصـمت ولكن فـاتني أيٌّ فـوات

قـال سـامـوك عـسـيـراً في التـمني يا بنـاتي

ارجـعي، ثم أعـيـدي، ثم عـودي صـاغـيـات

(١) العسجد : الذهب. (٢) الغمرات : جمع غمرة وهي الشدة والحادثة الشديدة.

مــــرة أو عــــشــــرات وإذا اسطعت مــئـــات

مــــا بدرسٍ واحــــد تُو فين هاتيك الصــفــات

هكذا يا شـــاعـــري ألـ ـهـمني الصمت فـهـات

هاتهـــا وافـــرح بإحــســ ـاني وراقب حــســنـاتي

لا يبــوح الصــمت إلا درجـــاتٍ درجـــاتِ

* * *

كلمــاتي ! صـدق الصــمـ ـت، أجل يا كـلـمـــاتي

غـيــر أني لا أعــيـد الأ مـسَ إلا بـصـــــلاة

مــرجع الأمــر لمن ضـمـ ـت رجـــائي وشـكـاتـي

يملك العــودة من أحـيـــا مــــن الأرض المـــوات

فـابعـثي الصمت إليـهــا في خـــشـــوع وتَقـــاةِ

ربمــا أعــطــتْ وإن لــم تســـألي يا كـلمـــاتي

خواطر في شؤون الناس

القدريشكو

صغير يطلب الكبرا ... وشيخ ودّ لو صَغُرا

وخالٍ يشتهي عملا ... وذو عمل به ضجرا

ورب المال في تعب، ... وفي تعب من افتقرا

ويشقى المرء منهزما ... ولا يرتاح منتصرا

ولا يرضى بلا عَقِب ... فإن يُعقبْ، فلا وزرا[1]

ويبغي المجد في لهف ... فإن يظفر به فترا[2]

ويخمد إن سلا، فإذا ... تولّه قلبه زفرا[3]

فهل حاروا مع الأقدا ... ر أوهم حيروا القدرا!

شكاةٌ ما لها حَكَم ... سوى الخصمين. إن حضرا

---

(١) الوزر : المعونة والتأييد.

(٢) فترا : سكن وهمد وانطفأ.

(٣) تولّه · اشتعل بالعاطفة.

كواء الثياب ليلة الأحد

لا تَــنَــمْ، لا تــنــم إنَّــهم ســـاهـرون

ســهــروا في الظلم أو غَــفَـواْ يحلمـون[1]

أنت فــيــهم حكم وَهُــمْ يــنــظـرون

في غــدٍ يلبـسـون! في غــدٍ يمرحــون

* * *

كم إهاب صــقــيـل يـا لــه مـن إهــاب[2]

وقــوام نبــيـل في انتظار الثــيــاب

وحــبــيب جــمــيل يزدهي بالشــبــاب

كلهم يَحْلُمُــون ! في غــد يلبــســون

* * *

أسْلمــوك الحُــلل كــالربيع الجــديد[3]

في احــمــرار الخــجل أو صــفــاء النهــود

تُشــتــهى بالقــبَل لا بِــمَسِّ الحــديد[4]

---

(١) غفَوا : ناموا.

(٢) الإهاب : الجلد والبشرة.

(٣) الحلل : جمع حلة يقصد بها الثوب والرداء.

(٤) مسّ الحديد : يقصد حديد المكواة.

يا لهـــــا من فنْون　　　بهــجــة للعــيـــون

* * *

طُويت كـــالعـــجين　　　فـاطْوِ فـيـهـا الجـمـال

لمســـة باليــــمين　　　عطفـــة بالشـــمـــال

والعـــجين الثـــمين　　　في استـــواء «المثـال»

فـــيـه مـاسَتْ غـصـون　　　مـن جـنـاهـا الجـنـون

* * *

زد نصــيب الحــبـيب　　　من هوى وابتــســـام

بالكســاء القـشـيب　　　رفّ حـــول القَـــوَام

لك فـــيـهم نصـيب　　　غـــيــر كيِّ الغــرام

عند بَرْح الشـــجـون　　　هُمْ هُمُ المكتـــوون[1]

* * *

الضـــرام اتقـــد　　　في المكاوي الشـــداد

هل خـــبـــا أو برد　　　أو عـــلاه الرمـــاد ؟

ذاك يـوم الأحـــد　　　أيـن منـك الرقـــاد

إن قـــضـــيت الديون　　　كلُّ نـارٍ تـهـــون[2]

(١) بَرح الشجون : لهيب الأشواق ونار المعاناة.　　المكتوون : الذين يعانون شدة الوجد والهيام.
(٢) يقصد برد الديون : إرجاع ما يكويه من الثياب لأصحابه.

***

أنا مـــــــصغٍ إليك	في الظلام الطويل
ســـــامع من يديك	كلُّ ضــربٍ ثقـــيل[1]
ناظر مَـــوْقِـــدَيْك	منذ غـــاب الأصـــيل
بين غـمض الجـفـون	واطِّــراد الــســكــون
يا أخــــا الـفن لا	تَدْعُـهـا بالثـيـاب
وارْقَ منهـــــا إلى	ما احتوتْ من شباب
وجـــمـــالٍ حـــلا	وحـــيـــاة عُـــجـاب[2]
وتــفــلــسـف عــلـى	ما احتوت من رقون[3]
تَـحْـيَ بـين الأولــى	خلفـهـا يخـتـفـون
تَلْقَـهـم يهـمـسـون	وهم صـــامـــتــون
والليـــالي تهـــون	والـــكرى والمنــون[4]

---

(١) الضرب الثقيل : يقصد به وقع المكواة وهو يحركها علي الثياب والنار والضرب الثقيل أيضا مصطلح في الموسيقي العربية.

(٢) العجاب : العجيبة، المثيرة للفكر والتأمل.

(٣) الرقون : وسائل الزينة والأصباغ التي يتجمل بها النساء.

(٤) الكرى : النوم. المنون : الموت

القمة الباردة

للجبال قمة باردة تعلوها الثلوج وللمعرفة كذلك قمة باردة تفتر عندها الحياة. فإذا نظر الإنسان إلي حقائق الأشياء لم ير شيئاً ولم يشعر بشيء لأن حقيقتها كلها أنها ذرات ترجع إلي حركة متشابهة في كل ذرة. فخير له ألا ينظر إلي الحقائق كل النظر ولا يعرض عن الظواهر كل الإعراض، لأن الحي لا يعرف الدنيا إلا بالظواهر التي تقع عليها الحواس وتدركها البديهة، فإذا تجاوز ذلك فقد ارتفع من المعرفة إلي قمتها الباردة التي لا يشعر فيها بحياة.

إذا ما ارتقيت رفيع الذرى ... فإياك والقمةَ الباردة[1]

هنالك لا الشمس دوارة ... ولا الأرض ناقصة زائدة

ولا الحادثات وأطوارها ... مجددة الخلْق أو بائدة[2]

قوالب يلتذ تقليبَها ... أناسٌ وتبصرها جامدة

ويعجب قوم بترقيشها ... وألوانها أبداً واحدة[3]

وتعلو وتهبط جدرانها ... وآساس جدرانها قاعدة[4]

ويا بؤس فانٍ يرى ما بدا ... من الكون بالنظرة الخالدة

فذلك رب بلا قدرة ... وحَيٌّ له جثة هامدة

(١) الذرى : جمع ذروة وهي القمة العالية.
(٢) بائدة : زائلة وهالكة.
(٣) الترقيش : التزيين والتلوين.
(٤) أساس : جمع أُسّ وهو قاعدة البناء.

إلى الغور!! أما ثلوج الذرى فلا خير فيها ولا فائدة[1]

***

يا ربة الحب كلميني إني على طورك المكين

أو فاهمسي لي باللمح سراً همس فطين إلى فطين

أدين بالحب فهو دين لكل من دان باليقين

وربَّ ليل سما جبيني إليك يا قِبلة الجبين

أذكر أعيادك اللواتي أسْهرنَ ما شئن من جفون

من شادنٍ بالزمان يلهو عَلَّمْته لوعةَ الفتون

أو طفلة بالصبا لعوب أورَثْتِها فرحة الغبين

والناس إلا بَنيكِ غاصوا في لجة النوم والسكون

فليس إلا خفوق قلبٍ يكاد ينشق بالوتين[2]

أو زفرة من فؤاد صب يعارض السجع بالأنين

أو والهٌ قائم يصلي إليكَ بالمدمع الهتون

أو بث خِلين في عناق حنًّا إلى الوصل بعد حين

---

(١) الذرى : القمم.

(٢) الوتين : الشريان الرئيسى الخارج بالدم من القلب لتغذية الجسم.

أو نسمات الصباح تسري	من الروابي إلى الحزون[1]
تحمل نفح الرياض شتى	من كل زهر على الغصون
تندسُّ بين الثمار فجراً	كاللص في هجعة العيون[2]
تكتم أنفاسها وتخشى	من لفتة الغصن والطنينِ

* * *

وربَّ ليل سمعت فيه	من فمك الساحر الامين
مقالة بعضها جنون	والبعض شرٌّ من الجنون
«إن زمان الشباب ليل	فاقضوه في اللهو والمجون
لا تنقصوا ليله بنوم	كفاكمُ نومة المنون
تمتعوا بالشباب وامضوا	كما مضت غابر القرون
سترجع الكأس فاحتسوها	إلى مدير بها ضنين
تديرها بعدكم يداه	آهٍ من الغادر الخؤون
والشيب صبح، إني لأخشى	عليكمُ بغتة الأذينِ[3]
فنادموني من قبل يوم	يؤودكم أن تنادموني»[4]

(١) الحزون: جمع حَزن أي الأرض الوعرة الخشنة. (٣) الأذين: الحاجب، والمقصود به هنا: الموت.
(٢) هجعة العيون : نومها ورقادها. (٤) يؤودكم : يشق عليكم ويصعب.

عابر سبيل

بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طِلَّسْمَ الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجباً لا تسمع الآذان أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلاً من كثيره :

جميع الناس سكاني	فهل تدرون عنواني؟
وما للناس من سر	عدا آذان حيطاني
حديثي عجب فيه	خفايا الإنس والجانِ
فكم قضّيتُ أيامي	بأفراح وأحزان!
وكم آويت من بَرٍّ	وكم آويت من جان![1]
فإن أرضاكمُ سري	فهاكم بعضَ إعلاني

* * *

بني الإنسان لن أحفل	في دهري بإنسان

(١) البر : الصالح والتقيّ. الجاني : الآثم والمذنب.

ألم أعْرِفْكُمُ طرا   فلم أسعد بعرفاني؟

أتاني أول السكْنِ   وما استوفيت بنياني[1]

وما أرهفت آذانا   ولم آنس بقطان[2]

وأصغيت على مهل   فطاشت كل آذاني

هما زوجان، أو شيطا   نة لاذت بشيطان

وقد عاشا وفيين   بتقدير وحسبان

وراحا - هكذا يحكو   ن - في روح وريحان

وما أبصرت من هذا   ولا من تلك في آن

سوى خوانة خر   قاء تفري عرض خوان[3]

إذا ما ضحكا يوما   على غش وبهتان

حسدت البيد والأطلا   ل في غيظي وكتماني

وأشفقت من النقـ   ـمة أن تهتز أركاني

---

(١) السكْن : السكان.
(٢) قطان : جمع قاطن أى ساكن.
(٣) تفرى : تشق وتفتت.

* * *

وجـــاء الســـاكن الثـــاني وبئس الســـاكن الثـــاني

يـراه الـنـاس ذا مـــــــال وأفـــــراس وغـــــيطان

وقـــد شـــوهني بخـــلا وأعـــراني وأعـــيـــاني

وقـــد صـــيـــرني سـجنا ومنه كـــان ســـجـــاني

فلمـــا طال بي عـــهـــداً ولم أســـعـــد بهـــجـــران

وَدِدْتُ لـــو أنَّ لـــي فـــي كلٍّ جـــحـــز ألْفَ ثعـــبـــان

بـديـلا مـنـه أرضـــــاه وأحـــبـــوه بغـــفـــراني

وأنفث ســمُّــهـــا أو يتـ ـقي شـــري ويخـــشـــاني

إلـى أن آده أجـــــــري ولم يظفـــر بنقـــصـــان[1]

فـــأخـــلاني، ولـن أنســ ـى ســـروري يوم أخـــلاني

* * *

وكـــان الســـاكن الثـــا لث ذا عـــــز وسلطانِ

---

(١) آده : أثقله وأعجزه.

فـــمـــا ارتبت بأنَّ العـ ـز والذلة ســـيــان

ومـــا ألفـــيتـــه إلا لئـيـمـاً جـد غـفـلان

ضـعـيـفـا يستر الضعـ ـف بطغـيـان وعـدوان

وكـم أذعـن لـلـطـاغـي عليـه شـر إذعـان

إذا مـــا لقي النـا سَ يِكْبِرٍ منه طنان[1]

فـمـا أصـغـر مـا ألقـ ـاه منه بين جـدراني

* * *

وأمـــا رابع القـــوم فـذو علم وتبـيـان

حـــشـــا بالورق اليـــا بس والأخـضـر حيشـاني

فـمـا لي مـوضـع في الأ رض أو من فـوق عـمـدان

ومـا لي مطبخ أو مـخـد ع أو بهـو ضـيـفـان[2]

ولا زاويـــــــة إلا وفـيـهـا الكتب تلقـاني

أبى لـلـنـفـس دعـــواهـا ولـم يـسـمـع لجـثـمـان

(١) الطنان : الذائع والمبالغ فيه.
(٢) ضيفان : ضيوف.

فـلا سـهـرة أحـبـاب ولا جلسـة نـدمـان

فـمـا أجـهله بالخلق ذاك العـالم العـاني!

أبـين الناس يحـتـا ج إلـى عـلـمٍ وبـرهـان؟

وهم عـمـيـان ظلمـاء سـروا في إثْرِ عـمـيـان؟

كـثـيـر لك يا إنسـا ن في دنـيـاك عـينان!!

* * *

وأمـا الخـامس الجـاني فـناهـيك بشـهـوان

فـمـا زودنـي إلا بـأثـداء وأعـكـان[1]

وهُتَّـاف بـألْـحـانِ وسُـمَّـار عـلى الحـان

إذا أمـسـيت مـسـاني بـأشـكـال وألـوان

علـى الأبـواب مـا يـرضـ ـيك من حـسن وإحـسان

ومن صـون لأسـمـاع ومن غـض لأجـفـان[2]

فـلا تـنظرهُمُ ثَـمَّـةَ وانـظر بين أحـضـاني

(١) أعكان : جمع عكن وهو ما تثنى من لحم البطن بسبب السمنة.
(٢) غصن الأجفان : إغلاق العيون.

فـــيـــا لله كم في الأ رض من غِيٍّ وغُـيَّـانِ[1]

وكم في القـوم من مـخـد وع آبـاء وإخـوان

وأزواج وأصـهـار وخـلان وأخـدان[2]

لو أني قلت مـا أدري لهـدوا كل أركـاني

فنعم الصـمتُ والحكمـ ـةُ يا صخري وصمواني!

***

وكم صـاحبت من أصـ ـحاب آداب وأديـان

تجافوا وصمةَ العاصي وعافوا شهوة الزاني[3]

وباتوا بين قـربان وترتيل لقـرآن

ولم يَأسَـوْا من الد نيا على غبن وحرمان

إذا ما شَرفَتْني زمـر ةٌ منهم بصحبان

حسبت الأرض تجفوني فأنساها وتنساني

وقالوا الجان لا تقـر ب من مجلس فرقان

(١) ألغى : الضلال. غُيان : جمع غوتى : الضال غير المهتدى. (٣) عافوا : كرهوا وتجنبوا.

(٢) الأخوان جمع خدن : الصديق والرفيق.

فـــقـــد ألفـــيت بعض الإنـ ... س في العنصـر كـالجـان[1]

ولـكـن شـــــر مـــــا آو ... يت في لؤم وعـــصـــيـــان

رياء الخـــائن العـــادي ... عـــلـــي أهـــل وأوطـــان

تلقّـــاهم بتـــمـــويه ... ولاقـــــوه بـإيمـان

وفي حـــجـــرة أســـراري ... وفي ظلمـــة أوْ كـــاني[2]

يبـــيع الحـــوزة الكبـــرى ... بِربْع أو ببـــنـــســـتـــان

ويــعــطـي الحـق والــذمـ ... ـة والفـــتـــيـــا بأثمـــان

ويمشـي بين قـــتـــلاه ... رفـــيع الذكـــر والشـــان

***

ولم أحـــمـــد من الضـــيـ ... ـفـــان ضـيـفـــا مـــثل فنان

تـــولانـــي بـــإبـــداع ... من الـفـن وإتـقـــــان

وغـطـى كـل جـــــدراني ... بمنضـــــور ومـــــزدان

وأوحى الحـــسن واســـتـــو ... حـــاه من جنات رضـــوان

(١) ألفيت : وجدت.
(٢) أوكان : جمع وكن : المأوى والعش.

فحينا حسن مكسوٌّ ... وحينا حسن عريان

بريئا في سماء الفـ ... ـن من عيث وأدران[1]

وفتانا على الحا ... لين لكن أي فتان

كما تفتنك الزهـ ... ـرة في أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها ... ولو دونت ديواني

ومثلي كل جاراتي ... ومثلي كل جيراني

عرفت الناس أشتاتا ... بلا عد وحسبان

فلم أعرف أأعدادٌ ... هُم أم جمع أقران؟

إذا ما اختلفوا في ... سيمة تبدو وشغلان[2]

فهم في الموت أشباه ... وفي سقم وأشجان

وما منهم فتى إلا ... بكى حينا وأبكاني

مساكين فلا تحفل ... من الناس بإنسان

(١) العيث : الفساد والتشويه. أدران : قاذورات وشوائب.

(٢) سيمة : شكل وصورة. شغلان : عمل.

ولا تحسد فتى منهم على بأس وإمكان

فأعلاهم وأدناهم أمام الغيب صنوان[1]

* * *

نزيل المنزل الخالي ألا تعرف عنواني؟

إذا ما طفت حوليه فثق أنك تلقاني

فما من منزل إلا وفيه بعض ألواني

تأمل في نواحيه وراقبه بإمعان

ولا يخدعك صمت فيه أو تفتيح بيبان

ولا تحسبه خلوا من مغاليق وأكنان[2]

إذا ما كنت مستحضر أرواح وحدثان[3]

فقف في المنزل الخالي وأرهف سمع يقظان

وأغمض فيه أجفانك وانظر غير وسنان

(١) صنوان : مثنى صنو أى شبيه. (٣) حدثان الدهر : أحداثه ومصائبه.
(٢) أكنان : جمع كنّ والمقصود به المأوى والكهف والساتر.

تر الأطيـــاف أفـــواجـــا وتســـمع مـــوج طوفـــان

وتجـــمع كل مـــا يُجـــمع من ربـح وخـــســـــران

ولا يـــخـــطـــئـــك تـــاريـــخ ولا دارس أزمـــــــان[1]

(١) دارس أزمان : الأزمان الماضية والبعيدة العهد.

عسكري المرور

مــتــحكمٌ في الراكــبين ... ومـــالـه أبداً ركـــوبة

لـهـم المثـــوبـة من بـنـا ... نك حين تأمــر والعــقـوبة

مــر مــا بدالك في الطريق ... ورُضْ على مـهـل شـعـوبه[1]

أنـا ثـائـر أبـداً ومـــا ... في ثورتي أبداً صــعـوبة

أنـا راكـب رجـلـي فـــلا ... أمــرٌ عليّ ولا ضــريبـة

وكـــذاك راكب رأســه ... في هذه الدنيـا العـجيـبـة

---

(١) رُضْ : دَرِّب ووَجِّه، من الترويض والتدريب.

كوكب الشرق[1]

هلّل الشــــرق بالدعـــاءْ كـوكب الشرق في السماء

عـــاد في حلة الضـــيـا ء، وفي هالة البـــهـــاء

لـم يَغـب هـاجــــراً ولـ ـكنْ كما غـربّت ذُكـاء[2]

لا تخـــافـــوا على مطا لعـــــه سطوة المســـاء

واهـبُ الــنـور لا يــدا ريـه عـن نـوره غــشـــاء

كــوكب الشـرف في أمـا ن مـن الـلـيـل لا مــــراء

* * *

يا عــروس الســمــاع لبـا ك من يســمع الدعـــاء

وشــفى أنفســاً لعــينيـ ـك تسـتـرخص الفــداء

انـظـري في وجــــوهـهـم تعـرفي نضــرة الـوفــاء

كـلـهـم ود لـو يُـغـنـي من البــشـر والصــفــاء

لـو بقـــدر الســـرور نشـ ـدو غـلـبـنـاك بـالـغـنـاء!

* * *

(١) قيلت في استقبال سيدة الغناء العربي أم كلثوم عند عودتها من رحلة علاجية في الخارج.
(٢) ذكاء : الشمس.

أمَّ كلثوم يا بشير ... أً من الله بالرجاء
أنت من وحيه، وللـ ... ـه في الفن أنبياء
ذلك الصوت ـ صوتك الـ ... ـعذب ـ من عرشه نداء
فيه سرٌ من جنة الـ ... ـخلد لكنه ضياء
فيه ما يرفع الحجا ... ب وما يكشف الغطاء
فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجي سلا ... م وللمشتكي عزاء
فيه حرز من الهمو ... م وعونٌ على القضاء
أي نفس إذا ترنمت لا تهزم الشقاء؟
إنه قوةٌ إذا ... عز من قوة نجاء
إنه من غنى إذا ... حُسب الصوت من غِناء
إنه ثروة لمصر ... وما أجزل الثراء
مهرجانٌ لعيدها ... حيثما رفرف اللواء
وعلى الجرح إن شكت ... بلسم ناجع الشفاء

***

أيـهـــــا الـكـوكـب الـذي　　أســـعـــد الأرض بـالـلـقـــاء

رددي الطرف في الفـضـا　　ءِ، ومــا أرحب الفـضـــاء

واســـأليـــه ســـؤَال من　　يلحن الطيـــر في الـهـــواء

هل سرى فـيـــه مـثـل صـو　　تك في الحـــسن والنقـــاء

في قــــديم الزمــــان أعـ　　ـنى وفي حــاضــر ســـواءِ

لا أحـــاشي من الرجـــا　　ل قـبـيـــلا ولا النســـاء[1]

لا تجـــيـــبي. أنا المجـــيـ　　ـب، ولم أغلُ في الثناء[2]

أنتَ كـــالـشـــمس لا تُعـــدّ　　د في هذه الســـمــــــاء

(١) لا أحاشى : لا أستثنى.

(٢) لم أغْلُ : لم أبالغ.

الكروان

هل يسمعون سوى صدى الكروان … صوتاً يرفرف في الهزيع الثاني

من كل سارٍ في الظلام كـأنهُ … بعض الظلام تَضله العـينان

يدعو، إذا ما الليل أطبقَ فوقهُ … موجَ الدياجر، دعوةَ الغرقان

ويشبّ في الجو السحيق كأنه … يبغي النجاة إلى حمى كيوان(١)

عاف التجمل فهو في جلبابه … فانٍ يرتل كالأبيل الفاني(٢)

ما ضرَّ من غنّى بمثل غِنائه … أنْ ليس يبطش بطشة العقبان

إن المزايا في الحياة كثيرة … الخوف فيها والسُّطاسيان(٣)

* * *

يا محييَ الليل البهيم تهجّداً … والطيرُ آوية إلى الاوكان

يحدو الكواكب وهو أخفى موضعاً … من نابغ في غمرة النسيان

قل يا شبيهَ النابغين إذا دعوا … والجهل يضرب حولهم بجران(٤)

---

(١) كيوان : نجم في السماء . (٣) السّطا : البطش والسطوة والجبروت.

(٢) عاف : كره وعزف عن. الأبيل : الراهب المتنسك. (٤) الجران: باطن العنق من البعير، والمراد استقر وثبت.

كم صيحة لك في الظلام كأنها دقـــات صـــدرٍ للدجنّة حـــان

هن اللغات ولا لغاتِ سوى التى رفـعت بهنّ عـقـيـرة الوجـدان

إن لم تقـيـدها الحروف فـإنـهـا كـــالوحْي ناطقــة بكل لِســان

أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى بثُّ الحـزين وفـرحـة الجذلان[1]

* * *

إني لأســمع منك إذ ناديتني مـعنىً يقـصـر عنه كل بيـان

لا عـيب أنك في لسـانك أعجم إذ كنتَ ناطقَ مـهـجـة وجَنان

والجـاهلون بسـر مـا رجّـعـتـه من نغـمـــة مـــأثورة ومـعـــان

لا يسـمـعـون بسـر بين جنوبهم صـــمـــاً وإن كـــانوا ذوي آذان

* * *

يا سالياً يشـكو ويصدح وحده علّم سـمـيـرك راحـة السلوان

جهلٌ لعمرك أن يطوِّع صاحباً من جاهرته النفس بالعـصيـان

املك هواك فإن أطقت فَلْمْ فتى خـان الوداد ـ فلستَ بالخـوّان

(١) اللغى : اللغات. بث الحزين : شكواه وبوْحه.

الكروان المجدد

زعموك غير مجدِّد الالحان　　ظلموك، بل جهلوك، يا كرواني

قد غيرتك ـ وما تغيِّر شاعراً　　عشرون عاماً ـ في طراز بيان

أسمعتني بالأمس ما لا عهد لي　　بسماعه في غابر الألحان

ورويت لي بالأمس ما لم تروه　　من نغمة وفصاحة ومعان

* * *

شكواي منك، وإن شكرتك، أنه　　سرٌ تصرُّ به على الكتمان

شكري إليك؛ وإن شكوتك، أنه　　سرٌ تؤخره لخير أوان

كنز يصان فهاتِ من حباته　　ذخر القلوب وحلية الآذان

* * *

أنا لا أراك! وطالما طرق النُّهى　　وحيٌ، ولم تظفر به عينان

أنا في جناحك حيث غاب مع الدجى

وإن استقر على الثرى جثماني

أنا في لسانك حيث أطلقه الهوى　　مرحا، وإن غلب السرور لساني

أنا في ضميرك حيث باح فما أرى　　سراً يغيّب به ضمير زماني

أنا منك فيْ القلب الصغير، مساجلٌ خـفق الرَّبيع بذلك الخـفـقــان
أنا منك في العين التي تهب الكرى وتضن بالصُّحَوات والأشـجـان
طِرْ في الظلام بمهجة لو صافحت حـجــر الوهاد لهمَّ بالطيــران
تغنيك عن ريش الجناح وعـزمـه فـرحـات منطلق الهـوى نشـوان
فـرحـات دنيـا لا يكدر صـفـوها بالمين غـيـر سـرائر الإنسـان

***

علمـتني بالأمس سـرك كله : سرٌّ السعـادة في الوجـود الفـاني
سـرُّ السـعـادة نفـرة ومـحـبـةٌ فـيكم تؤلف نافـر الأوزان
الكون أنتم في صـمـيم نظامـه وكـأنكم فـيـه الطريد الجـاني
أنتم سـواءٌ كـالصـديق وبينكم بعـدٌ كمـا يتبـاعـد الخـصـمـان
لا يحـمـل الطيـار وزر العـاني حـمل ابن آدم عـثـرة الإخـوان
لا عـالمٌ منكم ولا مـتـعـلمٌ كـلا ! ولا مـتـقـدم أو وان
مـتـشـابهين على الحيـاة فكلكم سـاري ظلامٍ، هاتف بأغـان
مـتـفـرقين على المقـامٌ ودأبكم عند الرحـيل تجـمّع القطان
وكـأنما نُسـختْ لكلٍ نسـخـة من هذه الأجـسـواء والأوطان
فـهـو الشـريك على نصـيب واحدٍ وهو الوحـيـد فـمـا له من ثان

ذخر الطبيعة منه تُعطَوْن الحجى لا من سباق بينكم ورهان

* * *

أنتم بني الطير المسّبح في الدجى فيكم كهانة صالح الكهان

بعتم كرى الغافي وطِيبَ رقاده وبه اشتريتم يقظة اليقظان

قل ما اشتهيت القول يا كرواني في لهو ثرثار وحلم رزان

سأعيش مثلك لي وللدنيا معاً وأقول مثلك كيف يزدوجان

وأظلُّ تزدحم الحياة بمهجتي أبداً ويجتنب الزحام مكاني

في عزلة أنا والحبيب تؤمنا دنيا الجمال، ونحن منفردان

الليل يا كروان

اللـيـلَ يـا كـــــروان   بشــــراكَ طاب الأوان
بشـراك؟ بل أنت بشرى   تهــفــو لهـــا الآذان
سـهـران فـي الليل شـاد   فكلنا ســـهـــران
وان تـكـن أنـت حلمـــاً   فــكــلــنــا وســنــان
وسنـان لـم يسـهُ قلب   لـه ولا أجــــفـــــان
النوم فـي الصـيـف وزرٌ   وفـي الهــوى كــفــران

***

اللـيـلَ يـا كـــــروان   مــا أنت والنـسـيــان
حــاشــاك مــا أنت ســاهٍ   عنه، ولا كــســلان
الليل ذكـرى وأنت المـ   ـذّكــــر اليــــقـظان
لـكـنـمــــا أنت روحٌ   وهــل لــروح مــكــان؟
بينـا يـقــال قـــريبٌ   كــــأنـه الـوجــدان
إذا بـه فـي صــــداه   كـــأنه كــيـــوان[1]

***

(١) كيوان : نجم فى السماء.

إن كان في السمع طيفٌ فـــأنت يا كـــروان
صــوت ولا جــثــمــان لحن ولا عـــيـــدان
كـــــأنــه هـاتـف في فـــضــائه حـــيــران
أو رجع صــوت قــديم يعــيــده الحــســبــان

* * *

الـلـيـل يـا كــــروان فــأين منك البــيـــان؟
ليل الطبـيـعـة صـمتٌ وأنت فـــيـــه لســـان
وظلمـــةُ الليل ســرٌ فـــاقـــرأه يا تـرجـمـــان
مـا في الظلام ظلام الحـ ـيــاة لو يُســتــبـــان
إلاّ صــيــاح اشــتـيـــاق تـروضـــــه ألحـــــان
نصف الحـيـاة اضطرابٌ ونصـــفـــهـــا أوزان

* * *

الليل والصـيف والحب كـــلـــهـــن أوان
وأنـــت مـــنـــهـــن طـــراً على وعـــودٍ تـصـــان
خذ صـمـتـهـن وصـغـه شـــدواً لـه ســــريان

غص في قرار الدياجي فللدجى شطآن
واستقبل النجم علْوا إن النجوم حسان
وخذ من الصيف ناراً لا يعتليها دخان
وارقص مع الحب دوراً دارت له الأكوان
في الأرض بيتك ثاوٍ وفي السماء افتنان .
وبين ذلك ملهى للحب، بل ميدان
واللهو في الحب فاعلم كالحرب يا كروان
عليك من ذا ومن ذا يا ابن الليالي أمان
شادي الغرام له من سكر الغرام ضمان
والصبح أول مَرسى يرتاده الرُكبان
ألا تَزاورَ عنه في الرحلة الريّان؟![1]
وما ارتضاه ولكنّـ ـما الزمان زمان
فاملأ من الليل نفساً عزيزةً لا تُهان
لا هتفةٌ فيه تبقى إلى غدٍ أو أذان
الليل يا كروان! الصبح يا كروان!

(١) تزاور : أعرض وابتعد.

غن يا كروان

قم غـن يـا كـــــروان غـنٍّ　　وتمنَّ في الـدنيـــــا ومنِّي

وأمن دجـــاك وإن عـــرفـ　　ـتك في الحــيــاة قليل أمن

فـــيم المخــافــة يا ســمــيـ　　ـر الليل أو فــيم التــجني؟

لا أنت جــزل في الـصــحــا　　ف ولست في قـــفص تُغنِّي

كـــلاًّ ولا في خـــافـــقـــيـ　　ـك الحــائلين بـريقُ حـــسن

والصـــقـــر نام وأنت وحـ　　ـدك تمدح الدنيـــا وتثني

لك كل مـــــا دون الـكـوا　　كب من سمـاك الليل مـبني

فـــأمن زمـــانك أو فـــخف　　فـــالطبع دون الرأي يغني

إنـي إخـــــالك لـو أمنـ　　ـت لما هتـــفْت لنا بلحن

مــــــا أحــب الـكـروان!

مــــــا أحب الـكـروان !

هل ســـمـــعت الكروان؟

* * *

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا　　حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا

هاتف يهـــتف بالأســـمـــاع وهناً

هو ذاك الـكروان، هـو هذا الـكروان!

* * *

الكراوين كـثـيـــر أو قليلْ عندنا أو عـندكم بين النخــيلْ

ثَمّ صـــوتُ عـــابرٌ كلَّ ســـبـيلْ

هو صوت الكروان، في سبيل الكروان

* * *

لي صدى منه فلا تنس صداك هو شـــاديك بلا ريبٍ هناك

فـإذا مـا عـســعس الليل دعـاك

ذاك داعي الكروان، هل أجبت الكروان؟

* * *

مـــفـــردٌ لكنه يؤْنسنا ســـاهرٌ لـكنه ينعـسنا

صـدحت في نفـســه أنفـسنا فتسامعنا سواء، وسمعنا الكروان!

* * *

واحـدٌ أو مـــائة ترجـعـــه عـنـدنا أو عـندكم مطلعـــه

* * *

ذاك شيءٌ واحـــد نـســـمـــعـــه

في أوان وبيـــان، هو صـــوت الكروان

واحـدٌ بين عــصــور وعــصــور   نحن نـسـتـحـيـي به تلك الدهور

لم يفــتـنـا غـــابر الدنيـــا الغــرور

في أوان الكروان، مـــا أحب الكروان!

آه من التراب

أين في المحفل «ميّ» يا صحابْ؟[1]

عودتنا ها هنا فصل الخطابْ

عرشُها المنبر مرفوع الجناب

مستجيبٌ حين يُدْعى مستجاب

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط النديّ

أين ميّ؟ هل علمتم أين ميّ؟

الحديث الحلو واللحن الشجيّ

والجبين الحرّ والوجه السنيّ

أين ولّى كوكباهُ؟ أين غاب؟

* * *

(١) ميّ زيادة · اسم أدبى مستعار للأديبة الكاتبة ماري بنت إلياس اللبنانية الأصل، عاشت بين عامى ١٨٨٦ ـ ١٩٤١. انتقلت مع والديها إلى مصر بعد أن تلقت تعليمها الأول في فلسطين ولبنان، وأخذت تكتب فى جريدة المحروسة ومجلة الزهور وكان لها منتدى أدبى شهير كان يقصده صفوة الأدباء في عصرها ويعقد بدارها كل ثلاثاء، كما كانت تربطها بالشاعر وبغيره من نجوم الأدب والفكر فى زمانه علاقة وثيقة. لم تتزوج، وفي أخريات حياتها غلبها الحزن والاكتئاب بعد وفاة والديها.
من أشهر مؤلفاتها: باحثة البادية، مد وجزر، سوانح فتاة، الصحائف، كلمات وإشارات، ظلمات وأشعة، ابتسامات ودموع. ولها شعر كتبته بالفرنسية. وهذه القصيدة تصور فجيعة العقاد برحيل مي.

أسـف الــفــن عــلــى تــلــك الــفــنــون
حــصــدتـهــا ، وهيْ خــضــراءُ، السنون
كلٌّ مـــا ضـــمـــتـــه منهن المنون[1]
غـــصـصٌ مـــا هان منهـــا لا يـهـــون
وجـــــراحـــــات، ويـأس، وعــــــذاب

* * *

شِيمٌ غُرٌّ رضيّات عِذابْ[2]
وحـــجى ينفـــذ بالـرأي الصـــواب[3]
وذكــاءُ ألمعيّ كــالشــهــاب
وجــمـــال قـــدسي لا يُعـــاب
كل هذا في التـــراب. آه من هذا التـــراب!

* * *

كـــل هـــذا خـــالـــدٌ في صَـــفَـــحـــاتَ
عطـــراتٍ في رُبـــاهـــا مـــثـــمـــراتَ
إن ذوت فـــي الـــروض أوراق النبـــاتَ
رفـــرفت أوراقـــهـــا مـــزدهـــراتَ
وقـطـفـنـا مـن جنـاهـا المســـتـطـاب[4]

* * *

(١) المنون : الموت
(٢) الشيم : جمع شيمة: الخلق الكريم. غُرّ: جمع غراء، المشرقة والمتالقة، عذاب : عذبة.
(٣) الحجى : العقل.
(٤) الجنى : الثمر.

من جنـــاها كـلّ حـسن نشـتـهـيـه

مـتـعـة الألبـاب والأرواح فـيـه

سـائغ مُـمَيَّـز مِنْ كل شـبـيـه

لـم يـزل يحـسـبـه مَنْ يجـتنيـه

مُـفْـرَدَ المنبت مـعـزول السـحـاب

***

الأقـاليم التي تُنْمـيـه شَـتَّى[1]

كـل نبت يانـع ينـجب نبـتـا

من لغـات طوّفت فـي الأرض حـتى[2]

لم تدَع في الشـرق أو في الغـرب سَـمْتـا

وحـواها كلهـا اللبُّ العـجـاب[3]

***

يـا لـذاك اللـب من ثـروة خِـصْبِ

نـيِّـرٍ يقـبـس من حـس وقَلْبِ

بـين مـرعىً من ذوي الألبـاب رحبِ

وغِنىً فـيـه، وجُـودٍ مـسـتَـحِـبِ

كـلمـا جـاد ازدهى حُـسناً وطاب

***

(١) تنميه : تغذيه وتقويه.

(٢) يشير العقاد إلى إجادة «ميّ» لعدد من اللغات الأجنبية.

(٣) اللب العجاب : العقل المثير للإعجاب والدهشة.

طَلْعـــهُ الناضـــر من شـــعـــر ونثـــرٍ[1]
كـــرحـــيق النحل في مطلع فـــجـــرِ
قـــابل النورَ على شـــاطيء نهـــرِ
فله في العين ســـحـــر أيّ ســـحـــرِ
وصـــــدى في كل نفس وجـــــواب

****

حيٍّ «مـــيـــاً» إن مَنْ شـــيع مـــيـــا
منصـــفـــاً حـــيّـــا اللســـان العـــربيـــا
وجـــزى حـــواء حـــقـــاً ســـرمـــديا
وجـــزى مـــيّـــا جـــزاء أريحـــيـــا
للذي أســـدت إلى أم الكتـــاب[2]

****

للذي أسـدت إلى الفـصـحى احـتـسـابا
والذي صـاغـتـه طبـعـاً واكـتـسـابا
والذي خـالتـه في الدنيـا سـرابا
والذي لاقت مـصـاباً فـمـصـابا
من خطوب قـاسـيـات وصـعـاب

****

(١) الطلع : الثمر ويقال طلع النخل : ثمره.
(٢) أم الكتاب : هي اللغة العربية.

أتُــراهـــا بعـــد فـــقـــد الأبـويْـــن

سلمت في الدهر من شـــجـــوٍ وبَـيْن[1]

وأسىً يـظلمـــهـــا ظلم الحـــسين

ينطوي في الصـــمت عن ســـمع وعـــيْن

ويذيـب القلب كـــالشـــمع المـــذاب

* * *

أتـــراهـــا بعـــد صـــمت وإبـــاءْ

سلمت من حـــســـدٍ أو من غـــبـــاءْ

ووداد كلٌ مـــا فـــيـــه ريـــاءْ

وعـــداء كل مـــا فـــيـــه افـــتـــراءْ

وســـكونٍ كل مـــا فـــيـــه اضطـــراب

* * *

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» خـــصـــالا

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» فـــعـــالا

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» جـــمـــالا

رحـــمـــة الله على «ميٍّ» ســـجـــالا[2]

كلمـــا سُـــجل في الطرس كـــتـــاب[3]

* * *

(١) الشـجو : الحزن الشديد والأسى المهلك. البـين : الغربة والاغتراب والبعاد.

(٢) السجال : الدمع المنهمر والدلو العظيمة والكتاب الذى دون فيه ما يراد حفظه.

(٣) الطرس : الصحيفة وورق الكتابة.

تلكُم الطلعة ما زلت أراها
غضةً تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءَت في سناها
وفروعٍ تتهادى في دجاها
ثم شاب الفرعُ والأصل، وغاب

* * *

غاب والزهرة تؤتي الثمراتْ
ثمراتٍ من تجاريب الحياةْ
خير ما يُؤْتي حصاد السنواتْ
بعثرتهن الرياح العاصفاتْ
ورمتهن تراباً في خراب

* * *

رُدَّ ما عندك يا هذا التراب
كلَّ لبٍ عبقري أو شباب
في طواياك اغتصاب وانتهاب
خُلقاً للشمس أو شُمِّ القباب[1]
خُلِقا لا لا نزواء واحتجاب

* * *

(١) شم القباب : القمم العالية. شمّ : جمع شماء. والقباب : جمع القبة.

وَيْكَ ! مــــــا أُنت بـرادٌّ مــــــا لـديـك

أضـــيعُ الآمــــال مــــا ضــــاع عليك

مــجــدُ «ميٍّ» غــيـــر مــوكـــول إليك[1]

مــجــد «ميٍّ» خـــالص من قـــبـضـتـيـك

ولـهـــــا من فــــضـلهـــــا ألف ثـواب!

* * *

(۱) موكول إليك : مسئوليته تقع عليك.

بيچو[1]

حزناً على بيچو تفيض الدموع

حزناً على بيچو تثور الضلوع

حزناً عليه جهدَ ما أستطيع

وإن حزناً بعد ذاك الولوع

والله - يا بيچو - لحزن وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لي

بالليل في ناحية المنزل

مسامري حيناً ومستقبلي

وسابقي حيناً إلى مدخلي

كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحف

أخشى عليها من يديه التلف

ثم تنبهت وبي من أسف

(١) بيچو : هو كلب العقاد.

ألاّ يصيب اليوم منها الهدف ....

ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

حزني عليه كلما عزني

صدق ذوي الألباب والألسن

وكلما فوجئتُ في مأمني

وكلما اطمأننتُ في مسكني

مستغنياً، أو غانياً بالقنوع(١)

* * *

وكلما ناديته ناسياً :

بيچو ! ولم أبصر به آتيا

مداعباً مبتهجاً صاغيا ...

قد أصبح البيت إذن خاويا

لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا. بل ليتني قد نسيت

حسبتني ذاكِرَهُ ما حييت

(١) غانيا : مستغنيا.

لو جاءني نسيانه ما رضيت

بيچو مُعَزيٌّ إذ ما أسِيتْ[1]

بيچو مُناجِيٌّ الأمين الوديع

* * *

بيچو الذي أسمع قبل الصباح

بيچو الذي أُرقب عند الرواح

بيچو الذي يزعجني بالصياح

لو نبحةٌ منه، وأين النباح؟

ضيعت فيها اليوم ما لا يَضيع

* * *

خطوته.. يا بَرْحَها من ألم

يخدش بابي وهو ذاوي القدم

مستنجداً بي، ويح ذاك البَكَمْ!

بنظرة أنطقَ من كل فم

يا طول ما ينظر،! هذا فظيع!

* * *

نَمْ لا أرى النوم لعيني يطيب

(١) أسيتُ : شعرت بالأسى.

أنتم خبيرون بنهش القلوب

يا آل قِطْمِيرَ هواكم عجيب[1]

غاب سنا عينيك عند الغروب

وتنقضي الدنيا... ولا من طلوع

* * *

نم واترك الأفواج يوم الأحد

والبحر طاغٍ والمدى لا يُحَدّ

عيناي في ذاك وهذا الجسد

بوحشة القلب الحزين انفرد

والليل، والنجم، وشعب خليع!

* * *

أبكيك، أبكيك وقلَّ الجزاء

يا واهب الود بمحض السخاء

يكذب من قال طعامٌ وماء

لو صحّ هذا ما مَحَضْتَ الوفاء[2]

لغائبٍ عنك، وطفل رضيع!

---

(١) «قطمير» هو اسم كلب أهل الكهف.

(٢) محضت الوفاء : أخلصت الوفاء بدون مقابل.

فهرس المختـــــارات

دواويـــن العقـــاد

الـديـــوان	سنة الطبعة الأولى
١ ـ يقظة الصباح	١٩١٦
٢ ـ وهج الظهيرة	١٩١٧
٣ ـ أشباح الأصيل	١٩٢١
٤ ـ ديوان العقاد	
(يضم الدواوين الثلاثة السابقة + ديوان أشجان الليل)	١٩٢٨
٥ ـ وحى الأربعين	١٩٣٣
٦ ـ هدية الكروان	١٩٣٣
٧ ـ عابر سبيل	١٩٣٧
٨ ـ أعاصير مغرب	١٩٤٢
٩ ـ بعد الأعاصير	١٩٥٠
١٠ ـ ديوان من دواوين	
(يضم مقتطفات من الدواوين التسعة السابقة بالإضافة إلى قصائد جديدة)	١٩٥٨
١١ ـ ما بعد البعد	١٩٦٧
(الديوان الوحيد الذى صدر بعد رحيل الشاعر، يضم أيضا مقالات كتبت في رثاء العقاد؛ جمعه وأعده للنشر عامر العقاد)	

دواوين العقاد

- يقظة الصباح
- وهج الظهيرة
- أشباح الأصيل
- ديوان العقاد
- وحي الأربعين
- هدية الكروان
- عابر سبيل
- أعاصير مغرب
- بعد الأعاصير
- ديوان من دواوين
- ما بعد البعد

المجلس الأعلى للثقافة

